

عُيُوبُ النَّفْسِ

وَدَوَاهِهَا

لِلشيخ أبي القباس سيري أحمد بن أحمد زروه

البرنسي الفارسي

المتوفى ١٢٩٩ هـ

وعلى هامشه

كتاب عُيُوبِ النَّفْسِ

للسري

تحقيق وشرح

الأستاذ محمد طيب

مفتي الشيخ أحمد زروه



DKI

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah
أسسها محمد زكي عجلون
سنة ١٩٧١

عُيُوبُ النَّفْسِ وَدَوَاهِهَا

لِلشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ زَرْقٍ
الْبُرْنَسِيِّ الْفَرَّاسِيِّ
الْمُتَوَفَى ٨٩٩ هـ

وَعَلَى هَامِسِهِ

كِتَابُ عُيُوبِ النَّفْسِ
لِلسَّامِعِ

تَحْقِيقُهُ وَسَرُّهُ
الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ طَيْبٌ
حَفِيدُ الشَّيْخِ زَرْقٍ



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

DKi

أسستها محمد باي دؤن سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

**Title : VICES OF SOUL
AND ITS CURE**

**الكتاب : عيوب النفس ودواؤها
وعلى هامشه : عيوب النفس
للسلمي**

Classification: Sufism

Author : Al-šayḥ Abu al-Ābbās Aḥmad Zarrūq

Editor : Mohammad Tayeb

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 128

Size : 17* 24

Year : 2010

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

التصنيف : تصوف

المؤلف : الشيخ أحمد زروق

المحقق : محمد طيب

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات : 128

قياس الصفحات : 17* 24

سنة الطباعة : 2010

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى

جميع الحقوق محفوظة
2010



ISBN 978-2-7451-7037-8

ISBN 2-7451-7037-6

9 782745 170378

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي كتابي هذا إلى:

كل من جاهد النفس والهوى والشيطان، ورأى أن الجهاد الحقيقي الذي حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم يتمثل في ذلك؛ لأن بالجهاد الأكبر، وبناء المسلم. القوي. المتكامل. المؤثر يتحقق بناء الأمة القوية التي تستطيع مواجهة كل الصعاب، والتحديات.

المحقق: محمد طيب إدريس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أرجوزة عيوب النفس ودواؤها هي: نظم وشرح لرسالة الإمام أبي عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي (توفي سنة 412 هجرية) كما أشار إلى ذلك الشيخ زروق في مقدمة رجزه؛ والتي سميت في بعض المصادر ب: "الأنس في عيوب النفس"⁽¹⁾؛ أو: "نظم فصول السلمي"⁽²⁾؛ أو: "نظم عيوب النفس ومداواتها"⁽³⁾.

وقد تم الاعتماد في تحقيق الأرجوزة على مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 984 د / فلم: 4870. حيث تم الرجوع إلى المخطوط الأصلي؛ لأن الفلم المصور جاء غير مرتب، وغير تام. بلغ عدد صفحات المخطوط الأصلي: 172 صفحة. احتل الرجز منه 16 صفحة من ص: 80 إلى ص: 95.

(1) انظر مخطوط رقم 684 د. المكتبة الوطنية بالرباط.

(2) انظر مخطوط رقم: 6647 الخزانة الحسينية بالرباط.

(3) انظر مخطوط رقم: 5136 ب، و عدد: 12266، و عدد 0516 الخزانة الحسينية.

هناك نسخ أخرى:

- عيوب النفس ومداواتها. مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط. 984 د / فلم 4870. من ص: 80 إلى ص: 95.

- عيوب النفس للسلمي. مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 16 ك ضمن مجموع. من ص: 247 / فلم 2394 مبتور الآخر. - مخطوط 1810 د من ص: 120 إلى 125.

هذا مع عرض المخطوط الأصلي، ومقارنته بمخطوطات أخرى.
وتعتبر أرجوزة: "عيوب النفس ودواؤها" من أهم أعمال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى، وأكبر دليل على مكانته كشيخ مرب عارف بمكامن النفس وأدوائها وطرق مداواتها فضلا عن قدرته في مجال النظم والرجز.
فإذا كان أهل عصره قد نظموا في اللغة والفقه؛ فإن الشيخ زروق يعتبر من أول من تعرض لعيوب النفس نظما ورجزا بعدما تعرض إليها غيره ترسلا ونثرا.
هذا ومما يزيد هذه الأرجوزة قيمة أن الشيخ زروق قد نظمها كلها بالروضة المشرفة قرب الحجرة النبوية المطهرة أثناء حجّه وزيارته للمسجد النبوي الشريف سنة 888 هجرية وهي حجة لم يشر إليها من ترجم للشيخ أحمد زروق، وإلى ذلك يشير في آخر الأرجوزة:

أتممته جميعه بطابة	وذلك تاريخ ملاً وطابه
وكان ذاك بدار الهجرة	في روضة المختار قرب الحجرة
تجاه رأس الهاشمي الأطهر	من حسنه لكل عقل يبهر
عليه أفضل صلاة وأجل	تحية من ربه عز وجل
عام ثمان وثمانين نجز	بعد ثمان مائة هذا الرجز
في يوم الاثنين لدى الظهيرة	نصف جمادى وهي الأخيرة

وهو ما يعطي القصيدة أو الأرجوزة نفحة روحية، وقيمة صوفية خاصة.
قال الخروبي في شأن هذا العمل: "رجز - أي الشيخ زروق - كلام السلمي. قال رحمه الله تعالى: تقريبا للحفظ والتحصيل فجاء الرجز - كما قال - مع جزالة اللفظ، وبيان المعنى. كثير الفوائد. محصلا للمعنى الشارد، ومقربا للناء المتباعد...".

وإصلاح عيوب النفس وعلاجها عن طريق المجاهدة الروحية يعتبر عند الصوفية السبيل الوحيد للسالك للتخلي والتحلي.

* التخلي والابتعاد عن المحرمات، والموبقات، وما يتنافى مع مكارم الأخلاق.

* ثم التحلي والالتزام بالطاعات، ومكارم الأخلاق قصد الترقى بالنفس عبر مراتب الكمال والصفاء الروحي. من النفس الأمانة بالسوء؛ إلى النفس اللوامة. ثم النفس المطمئنة الراضية.

والشيخ أحمد زروق كغيره من الصوفية يرى بأن تقويم اعوجاج النفس يكون بالمجاهدة ومعارضة أهوائها وصددها عن شهواتها، والإعراض عن وساوسها؛ لأن أصل كل معصية هو الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة اتهامها وعدم الرضا عنها.

وإذا كان علم النفس ومعرفة طبائعها وأخلاقها يعتبر من أعز علوم المتصوفة؛ فإنه من خلال الأرجوزة هذه يتضح أن الشيخ أحمد زروق مختص في علم النفس حسب مدرسة أهل التصوف عارف بأحوال النفس المذمومة، ومكرها وخفايا شرها، وطرق علاجها وتطبييها؛ فقد ذكر في الأرجوزة تسعا وستين عيبا أو مرضا من عيوب وأمراض النفس الأمانة بالسوء، وطريقة علاج كل مرض من تلك الأمراض. حيث نراه يصف الدواء والعلاج المناسب لكل داء؛ وهو ما يؤكد علو كعبه وباعه الطويل ومنزلته العالية كشيخ مرب عارف بمكان النفوس وأدوائها وطرق علاجها.

وإتماما للفائدة حرصنا في هذا الكتاب على تقديم الأرجوزة مع تذييلها بنص رسالة السلمي في عيوب النفس الواردة في مخطوط المكتبة العامة بالرباط تحت رقم: 16 ك ضمن مجموع ابتداء من ص: 247. فلم: 2394. وكذا مخطوط 1810 د ضمن مجموع من ص: 120 إلى ص: 125. بنفس المكتبة.

المحقق:

الشيخ الأستاذ محمد طيب

حفيد الشيخ أحمد زروق

النفس عند الصوفية،

وعند الشيخ أحمد زروق

تطلق النفس عند الصوفية على الجزء الدنيوي المادي المرتبط بالشهوات والغرائز والميول المنحطة في الإنسان؛ ولذلك اعتبروها عنصر الشر في تكوينه؛ فهي مناقضة للروح التي تدل على الجزء الخالد المتعالي في الإنسان.

وإذا كانت الروح بطبيعتها طاهرة فإنها بحلولها في عالم الأجساد تصبح سجين المادة وتنسى ما جلبت عليه من خير نتيجة انغماسها في عالم الشهوات المادية الجسدية لتجرف صاحبها إلى الشر وتبتعد به عن الخير والعمل الصالح؛ فهي كالحصان الجامح - حسب تعبير الشيخ زروق -؛ لذا وجب الأخذ بلجامها وردعها عن الانفلات والفساد لأن النفس إذا ما غفل صاحبها عن مراقبتها وأطلق لها العنان بدت شرارتها وظهر خطرها وأصبح من المستحيل التحكم فيها؛ وبذلك تكون النفس بهذا المعنى عند المتصوفة أعدى عدو الإنسان تتكالب عليه بمساعدة الشيطان لتلقي به في أتون الرذيلة وتدفعه بالحاح إلى إرضاء شهواتها ومطالبها وميولها المنحرفة وأهوائها الجارفة غير المنتهية لأنها كما قال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يضم

هذا ولقد رد الصوفية أصل كل داء ومعصية وفساد إلى النفس.

قال ابن عطاء الله في الحكم:

" أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها".

وقال: " لا يخاف عليك أن تلبس الطرق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك".⁽¹⁾

ويقول الشيخ زروق في شرح الحكم معلقاً على كلام ابن عطاء الله:⁽²⁾

" علامات الرضى عن النفس ثلاث: رؤية الإنسان لنفسه، والشفقة عليها، والإغضاء عن عيوبها بتركيتها من حيث إنه يرى قبيحها حسناً بالتأويل لا أنه يعلم العيب ثم يغضي عنه وإن كان نوعاً منه "

" وعلامات السخط عن النفس ثلاث: اتهامها، والحذر من آفاتهما، وحملها على المكاره في عموم أوقاتها".

فالنفس أصل كل داء لأنها تحسن القبيح وتحث عليه، وتنفر من الحسن وتخلق الأعذار لتركه وهجره، ومن اتهم نفسه وأساء الظن بها بحث عن عيوبها ورام تطيبها.

قال أبو حفص الحداد:⁽³⁾

" من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أيامه فهو مغرور؛ ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه؛ وقد قال الله تعالى حكاية على لسان نبيه يوسف: (وما أبريء نفسي إن النفس

(1) الحكم العطائية ص: 56.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق. ص: 57.

لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم⁽¹⁾.

وقال بعض الصوفية: "نحت الجبال بالأظافر أيسر من زوال الهوى إذا تمكن".

فشروع النفس عند الصوفية أخطر من وساوس الشيطان وغوايته على الإنسان؛ لأنها تحسن القبيح وتحث على فعله، وتفر من الحسن وتتكاسل عن القيام به؛ لذا طلبوا من المريد أن يجاهدها ويكبحها وأن لا ينساق لأهوائها أو يغضي عن عيوبها.

هذا ولقد تأثر الشيخ زروق بأقوال الصوفية من النفس ومواقفهم من مكان شروها ومواطن شهواتها؛ وبالتالي طرق رياضتها وسياستها ومعالجتها؛ فهو يرى بأن النفس مليئة بالعيوب وبأن هوى النفس أخطر من الشيطان ووساوسه؛ لذا نجده ينصح أتباعه باتهامها وعدم الرضى عنها، والحذر من آفاتنا وحملها على ما تكره والابتعاد عما تحب وتهوى؛ لأن من اتهم نفسه وأساء الظن بها بحث عن عيوبها ورام علاجها وتطبيها؛ وبذلك يصفوا باطنه ويعرف ربه.

ولقد ميز الشيخ زروق بين الروح والقلب والنفس كما فعل الصوفية؛ وإن كان يميل إلى اعتبارها شيئاً واحداً، وإن اختلفت مراتبها حسب ترقيا وصعودها في مدارج الكمال:

* فالروح عند الشيخ زروق - كما عند بقية الصوفية - تعني "النفس الطاهرة" قبل ولادتها أي عندما كانت في عالم الأرواح حيث كانت نفساً طاهرة، وهي تدل على الجزء الخالد المتعالي في الإنسان، وقد يعبر عنها بالقلب الذي هو محل الطهر والنقاء؛ فلما علقت بالأجسام وأصبحت سجيئة

المادة وتعلقت بالشهوات فقدت طهارتها ونقاءها وصفاءها⁽¹⁾؛ فهي تتلون بحسب ما يطرأ عليها من تغيير وتقلبات، وتتخذ في ذلك أشكالا ثلاثة: نفس أمارة، ونفس لوامة، ونفس مطمئة. حسب ما ورد في القرآن الكريم.

* فالنفس الأمارة (ويقابلها القلب الميت) هي التي تأمر صاحبها بالسوء واقتراف المعاصي والذنوب والمنكرات، وتستثقل الطاعات وتنفر منها. حيث تصبح أسيرة المعاصي والموبقات وتتحكم فيها مصداقا لقوله تعالى: (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)؛ وهي عند زروق بطبعها مليئة بالعيوب والنقائص، "ولا حديث عليها ولا عهد لها، والحق عليها أثقل من ثقل"⁽²⁾؛ لذا يجب على كل إنسان أن يفتش باستمرار عن عيوب نفسه ويتعهدا بالتقويم والتزكية ليأمن غدرها، وحتى لا تعود من جديد فاعرة فمها لتلتقط كل حسناته وتعيده من جديد إلى حماة المعاصي والذنوب والآثام، وهو بهذه التخلية والتزكية يستطيع أن يسلك الصراط المستقيم الذي يوصله لمرضاة ربه.

والنفس المقصودة في أرجوزة عيوب النفس ودواؤها هي النفس الأمارة بالسوء التي ينصحنا الشيخ زروق بمجاهدتها ومخالفتها وترويضها وكبحها ومعارضة ما توحى به من سوء ومراقبتها باستمرار.

* والنفس اللوامة (ويقابلها القلب الحي المريض) هي التي تستيقظ بعد غفلتها وتلوم صاحبها على ما اقتراف من معاصي وآثام، وهي مرحلة تمر بها النفس الأمارة في بداية توبتها وتطهيرها وعودتها عن أهوائها، وهي نفس زئبقية متلونة ومتردة بين الخطأ والصواب حيث تخطيء أحيانا فتلوم صاحبها على الخطأ وتتوب أحيانا فترضى بذلك وتعقد العزم غلي الاستمرار على

(1) عدة المريد الصادق.

(2) شرح الحكم.

التوبة، وهي المشار إليها في سورة القيامة.

* أما النفس المطمئنة بدرجاتها المختلفة: "الملهمة - الراضية - المرضية - الكاملة - المطمئنة -". (ويقابلها القلب الصحيح الحي)؛ فهي التي عادت وأنابت إلى ربها بعد صراع طويل بين النفس الأمارة والنفس اللوامة؛ فتغلبت الثانية على الأولى وآبت عن جميع الغوايات، وأقلعت عن المعاصي ورضيت بشريعة الله تعالى أمرا ونهيا، واقتدت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً، ووصلت إلى شاطئ النجاة فاستقرت به راضية بحكم الله وقضائه وقدره.

قال زروق: "... فالنفس المطمئنة ما كان لها نور تهتدي به⁽¹⁾، والنفس اللوامة ما لم يكن لها هذا النور فتخطيء تارة وتصيب أخرى؛ أما النفس الأمارة فلا حديث عليها ولا عهد لها، والحق عليها أثقل من ثقل ... ويستعان عليها بقصد المخالفة أبدا ...

والنفس اللوامة أعظم رتبة عند الله تعالى لأنه أقسم بها في قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)⁽²⁾، وسميت لوامة لأنها تلوم صاحبها على ما ارتكب من قبائح وتحاسبه عليها؛ فإذا أحرق لهيب الندم والتوبة أدرانها وطهرت وزكت صارت نفساً مطمئنة بشهود الحق بلا واسطة راضية بحكم ربها وقضائه وقدره منقادة لحكمه⁽³⁾ قال تعالى: (يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك

(1) عدة المريد الصادق، ويشير بكلامه إلى قوله تعالى: (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

(2) سورة القيامة الآية: 21

(3) شرح زروق للحكم

راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جتتي⁽¹⁾.

ولقد نبه الشيخ زروق إلى عيوب النفس وكيفية علاجها؛ إذ ليس هناك بالإضافة إلى الشيطان أخطر على الإنسان من أهواء النفس. هاته النفس التي تلبس على الإنسان الحقيقة وتزين له المعصية بطرق كثيرة وتبرر له كل خطيئة وتحسن له القبيح؛ وقد قيل: "لدغ الزناير على الأجسام المتقرحة أيسر من لدغ الشهوات عاى القلوب المتوهجة".

والنفس عند الشيخ زروق تختلف باختلاف الأقاليم والأجناس؛ وهو يفرق بين عيوب النفس التي ترتبط بشهوات الجسم، وعيوب القلب التي ترتبط بالشهوات المعنوية كالحسد والحقد وحب الجاه والرياسة... الخ.

ولقد تعرض الشيخ زروق في مؤلفاته العديدة لمعالجة النفس إلا أنه أفرد كتابه "إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين"⁽²⁾ لهذا الغرض. حيث نجده يحدد الهدف من تأليفه لهذا الكتاب في: "معالجة القلب - بالمعنى الصوفي -؛ لأن القلب أساس الخير والشر، وموته وحياته مفتاح النفع والضرر.

والقلب عند الشيخ زروق إما صحيح أو ميت أو مريض.

" - فالقلب الصحيح صاحبه ينطق بالحكمة وينهض في كل ملمة.

- والقلب الميت لا حياة فيه ولا يقبل التذكير والتنبيه فضلا عن اتباعه الحق، أو تأدبه مع الخلق.

(1) سورة الفجر الآيات: 27 و 28 و 29 و 30.

(2) ألف الشيخ زروق كتابه (إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين) أثناء مقامه بدواره البور/ لجاية. حيث انتهى من تأليفه يوم الرابع والعشرين من شهر شوال سنة 883 هجرية؛ وهو ابن السابع والثلاثين من عمره.

- والقلب المريض الذي تتصارع فيه الموت والحياة؛ وهو الذي يقصد بالمداواة ويرصد بالمعاقة رجاء استقامة حياته أو توقيف العلة حتى لا تؤدي لمماته".

وكأي صوفي خبير ومربي كبير يقسم الشيخ زروق القلوب المريضة إلى ثلاثة أقسام:

" - قلب تكون الحياة فيه أقوى من المرض وهو أسهلها علاجاً (لأنه قلب تكون الحياة غالبية عليه والمرض تابع).

- قلب يغلب المرض فيه على الحياة (وهو من العوارض المخيفة).

- قلب تتكافأ فيه الصحة والسقم بحيث يمكن تقوية أحدهما: "حيث تغلب الصحة أو المرض"؛ وهو أصعبها علاجاً لأنه العلة المعضلة.

أما العلة أو المرض فإن الشيخ زروق يرى بأنه يمكن اكتشافها بأمور ثلاثة:

- أولها: الأعراض البادية التي تظهر على أفعال الجوارح.

- الثاني: السبب الأصلي الذي تنبئ وتكشف عنه حركات القلوب.

- الثالث: المواد الوصلة التي تظهر في خواطر النفوس وما تميل إليه بالاختيار خيراً أو شراً.

وحيث أن القلب أساس الخير والشر وموته وحياته مفتاح النفع والضرر؛ فإن الشيخ زروق يرى بأنه: "لا بد من فحص القلوب وتمييزها حتى تسير على بينة من أمرها وهدى من ربها؛ وهو يطرح القلب المعافى من حسابه لأن صاحبه ينطق بالحكمة وينهض في كل ملمة؛ كما يسقط القلب الذي لا حياة فيه لأنه لا يقبل التذكير والتنبيه، ويوجه اهتمامه كله إلى القلب المريض الذي تتصارع فيه الحياة والموت؛ وهو الذي يقصد بالمداواة ويرصد بالمعاناة رجاء استقامة حياته، أو توقيف العلة حتى لا تؤدي لمماته".

ودخول العلة على القلب الساذج - عند الشيخ زروق - سهل العلاج لأنه إذا صح انتفى المرض منه وتمكنت الحقيقة منه. أما القلب الذي يعتريه السقم بعد الصحة ويرجع إلى الغي بعد الرشاد فإنه يكون متقلبا بين الخير والشر.

لذا ينصح الشيخ زروق بعدم الاغترار بما وصل إليه الإنسان من الكمال، وأن يداوم مراقبة نفسه ويجدد التوبة في كل لحظة، ويعالج نفسه بما يراه صالحا لتطبيها.

وعلاج القلب المؤثر لهواه المعرض عن مولاه يكون عند الشيخ زروق بثلاثة أشياء:

* أولها: حمية البدن بالتقليل من الطعام على وجه لا يخل بالفكرة ولا المنام؛ لأن قلبه يصفو بذلك.

* الثاني: استنشاق روائح الصدق بمخالطة أهله؛ فإن لم يوجد الحي فأخبار من يعرف بمحله.

* الثالث: استعمال الدواء النافع بتذكار المهالك والمقاطع؛ ففي ذلك عنوان له على التوبة، والإنابة، والطاعة؛ ومما يساعد على ذلك: الخلوة - زيارة المقابر - لزوم الاستغفار - الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فبالتقليل يصفو قلبه، وبمخالطة أهل الخير يشاق لله، وبالتذكار يعينه ربه. إذ أن الله يعين العبد على قدر نيته ويفتح له على قدر همته.

هذا ولقد نبه الشيخ زروق إلى عيوب النفس وكيفية علاجها؛ إذ ليس هناك بالإضافة إلى الشيطان أخطر على الإنسان من أهواء النفس. هاته النفس التي تلبس على الإنسان الحقيقة وتزين له المعصية بطرق كثيرة وتبرر له كل خطيئة وتحسن له القبيح.

عموما فإن الإنسان التائب يمر بثلاث مراحل:

* التخلي من موبقات الماضي وذوبه وآثامه.

* التحلي في الحاضر بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم.

* التجلي: أي المعرفة الحقيقية بموقع الربوبية من الوجود وأنه "ليس على الحقيقة إلا الله".

وتزكية النفس المستمرة وتحليتها الدائمة تؤدي إلى تطهير القلب (الرمز الروحي للإنسان)، وتهيؤه لتقبل المعرفة والنور الإلهي؛ لأن الله لا ينظر إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا كما ورد في الحديث، ولأن القلب هو أصل الخير أو الشر ومحل النور أو الظلمة؛ وتكون المراقبة دائما وفي جميع الأوقات باللجوء إلى الله وتجديد التوبة دائما وردع النفس من كل ما توسوس به.

عموما فإن النفس البشرية مترددة بين الشكر والكفر مصداقا لقوله تعالى: (إنا هدينه السبيل إما شاكرا وإما كفورا).

وإذا كان من الصعب التحكم في النفس أو مراقبتها لكثرة تلونها وخدعها؛ فإن السبيل لردعها وقهرها وتهذيبها وترويضها هو* الإعراض عن وساوسها وعدم الاستجابة لمطالبها ورغباتها مما يؤدي إلى خمولها وضعف نزواتها وإماتتها والقضاء على نوازع الشر فيها.

وما دامت النفس أصل كل داء ومعصية؛ فإن المرء يحتاج إلى معرفة عيوبها حتى يعمل على التخلص منها.

موقف الأئمة من التصوف

- قال الإمام مالك: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق" حاشية العدوي على شرح الزرقاني.

- قال الإمام الشافعي: "حب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاعتداء بطريق أهل التصوف".

- قال الإمام أحمد؛ وقد سئل عن التصوف: "لا أعلم أقواماً أفضل منهم".

غذاء الألباب شرح منظومة الآداب. ج 1. ص 120

- وقال الإمام أحمد وهو يوصي ابنه عبد الله:

" يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم - يعني أهل التصوف -؛ فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة".

تنوير القلوب لأمين الكردي ص: 405

**تحقيق
أرجوزة
عيوب النفس**

يُقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْعَفَّارِ أَحْمَدُ نَجْلُ أَحْمَدِ الْخَضَارِ⁽¹⁾

(1) هو أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الخضار بن سيدي عيسى البرنسي. التفرونثي البوري الوريكلي أصلاً وولادة. الفاسي نشأة وداراً وقراراً. المشهور بزروق. لقب أبوه وجده بالخضار لأرض سقوية كانت لهما، وكانا يزرعانها بالخضر ويكثران من الصدقة منها؛ فأسرة زروق رغم اهتمامها بطلب العلم، واشتعارها بالولالة؛ فإن ذلك لم يمنعها من الارتباط بأرضها والاهتمام بها؛ (فالعلم للدين والعمل للدنيا) كما كانت جدة الشيخ أحمد زروق تقول لحفيدها أحمد في تربيته أثناء صغره. ومما يدل على مكانة أب الشيخ أحمد زروق العلمية ما ورد في كتاب قبيلة بني زروال لمحمد البشير: "ومما وجدناه مقيدا بخط الشيخ أبي حامد الدرقاوي ما نصه: "ومما وجدناه مقيدا بخط الفقيه الأجل سيدي محمد بن محمد البرنوسي، وكان أعرف الناس خاصة وعامة بنسبنا..."؛ فالشيخ العربي الدرقاوي الذي ينتمي إلى قبيلة بني زروال المجاورة لقبيلة بني ورياكل يصف أب زروق بالفقيه الأجل؛ وفي ذلك إشارة إلى مكانته العلمية.

البُرُنْسِيّ الْأَضْلُ ثُمَّ الْفَاسِيّ الْمَشْهُورُ زُرُوقُ بَيْنَ النَّاسِ⁽¹⁾

(1) البرنسي: أصلاً نسبة إلى حي البرانس من دوار خد البغال قبيلة بني ورياكل الجبيلة بشمال مدينة فاس بالمغرب لا إلى قبيلة البرانس بعمالة تازة؛ - كما ذهب إلى ذلك كل من ترجم له خطأ -؛ وإذا كان الحي قد اندثرت معالمه لخلوه من السكان بعد انتشار الطاعون به؛ فإن المكان مازال يعرف بهذا الإسم إلى الآن، وهو في ملك أسرة الكاتب.

الفاسي: دارا ونشأة ودراسة.

زروق: اكتسب هذا اللقب من جده لأمه، وما زالت هاته الصفة الوراثية تظهر في حفدة الشيخ زروق بالدوار (أبناء عمه وخال الكاتب)؛ كما أن سكان اجباله بالمغرب يطلقون هذا اللقب إلى الآن على كل شخص أزرق العينين، فيقال عنه "زروق".

صفاته:

كان رحمة الله عليه

* قمة في التواضع على عادة كبار العلماء لا ينسب لنفسه علماً أو تفوقاً أو مشيخة على الغير.

* منصفاً يعترف بفضل أساتذته وشيوخه عليه حيث نجده يشيد بهم في غير ما موضع؛ كما كان ينسب الأقوال إلى أصحابها ويعتبر ما عدا ذلك سرقة (كتابة القاعدة المناسبة للموضوع).

ومما نسب إليه محمد الكوهن في طبقات الشاذلية الكبرى أنه قال: "شرحت الحكم ستة وثلاثين شرحاً، فأبى الله إلا ابن عباد في الظهور والاستعمال"؛ وهو كلام لا يصدر إلا عن عالم منصف ومتواضع.

وكان رضي الله تعالى عنه شديد الحرص على أن لا يعتقد الناس بصلاحه أينما حل، ويحتمي في ذلك بالأسباب التي كان يتخذها لكلب رزقه، وأهم هاته الأسباب لما كان بالمغرب:

- تعلمه الخرازة وهو صغير، واشتغاله بها مدة ست سنوات بعد موت جدته.
- الأموال التي كانت تدرها عليه الممتلكات التي تركها له أبوه وجدته بالبادية.
- اشتغاله بالتدريس بفاس ما بين سنة 868 و 873 هجرية؛ ومع ذلك كان يحرص على خدمة المريدين والشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم.

أما بعد ذلك فكانت موارده يعتمد فيها على استنساخ كتبه وبيعها أو تقديمها هدية وإثابتها عليه.

قال أبو الحسن الشاذلي: "من اكتسب وقام بفرائض الله تعالى؛ فقد كملت مجاهدته"

التكوين الصوفي الفقهى للشيخ أحمد زروق

تربى الشيخ زروق على يد جدته الفقيهة الصالحة أم البنين وثلة من فقهاء وفقهات أسرته التي كان أفرادها يجمعون بين العلم والعمل - شأن معظم علماء المغرب آنذاك -؛ وهكذا نشأ محبا للعلم ملازما للعبادة والأذكار⁽¹⁾

إن التربية المتكاملة التي نشأ عليها والقائمة على تطبيق الشريعة واحترام تعاليمها، وعلى الزهد الذي كان يترجم بكل تواضع مقام الإحسان، ويعكس حالة المجتمع المغربي العالم المتدين آنذاك؛ الذي لم يتخل عن الشريعة ليستقبل التعاليم الصوفية الاستشرافية الوافدة من المشرق، أو يتنصر لمذهب الصوفية على حساب الفقهاء، وهي السمة البارزة للبيئة العلمية السائدة بالمغرب عموما وبمدينة فاس العاصمة السياسية والعلمية آنذاك على وجه الخصوص.

لقد سار الاتجاه الفقهى والصوفى في تكوين الشيخ زروق جنبا إلى جنب؛ فهو لم يبتدئ فقيها لينتهي صوفيا، ولم يبتدئ صوفيا لينتهي فقيها؛ بل إن الاتجاهين الفقهى والصوفى سارا جنبا إلى جنب في تكوينه وبالتالي في جميع كتبه بعد ذلك. يؤثر أحدهما على الآخر ويكمله ولا يلغيه ليشكل المدرسة الفقهية / الصوفية الزروقية القائمة على التكامل بين الشريعة والحقيقة.

(1) قال عنه الحسن بن محمد الكوهن الفاسي في كتابه: "طبقات الشاذلية الكبرى" بحر العلوم والمعارف. أستاذ كل مجدوب وسالك وعارف. القطب الرباني والهيكل الصمداني... كان رحمه الله عالما عاملا. زاهدا ورعا. نشأ محبا للعبادة ملازما للأذكار...".

"فقيه دون تصوف فسق، وتصوف بدون فقه زندقة...".

ولقد ساعد الشيخ أحمد زروق على التأليف والتوفيق بين الشريعة والحقيقة:
• ثقافته الواسعة؛ فهو فقيه متبحر خصوصا في المذهب المالكي، وكتبه في هذا المجال أكبر دليل على ذلك.

• تجربته الصوفية الواسعة التي ترقى فيها من مرید سالك إلى شيخ طريقة مرابي.⁽¹⁾
لذا نجد الشيخ أحمد زروق في كتبه ورسائله يزاوج بين الشريعة والحقيقة، ويقرب بين الفقه والتصوف ويربط السلوك بالفقه، أو العمل بالشريعة التي هي أساس السلوك عند الشيخ زروق.

ورغم أن الشيخ أحمد زروق قد نشأ وتربى تربية روحية، وأخذ التصوف عن شيوخ مغاربة؛ فإنه تأثر بالفكر الصوفي المشرقي وأخذ عن كثير من مشايخه؛ لذا نجده يقف أيضا موقفا معتدلا من التصوف الاستشراقي، وذلك بعدم مهاجمته والميل إلى التسليم؛ بل يذهب لأكثر من هذا حيث يرى بأن لكل فرقة وطائفة تصوف يليق بها:

(1) يمكن معرفة أساتذته وشيوخه بالرجوع إلى:

* كناشة الشيخ زروق.

* كتاب الشيخ زروق للمؤلف.

وفي هذا المجال يذكر الخروبي في كتابه: "شرح عيوب النفس". مخطوط المكتبة العامة الرباط رقم: 2691 د. أن الشيخ زروق أخذ علوم الظاهر عن ستة وعشرين عالما، وعلوم الباطن عن سبعة وثلاثين شيئا.

انظر تحقيق نسب الشيخ أحمد زروق مفصلا في كتاب: الشيخ أحمد زروق. محتسب الأولياء والعلماء. للأستاذ: محمد طيب:

* الطبعة الأولى. نشر دار الثقافة للطباعة والنشر. الدار البيضاء المغرب. طبعة 2005 م.

* الطبعة الثانية. نشر دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع بمصراتة ليبيا. سنة

2008 م.

• مرحلة تصحيح الفكر الصوفي المغربي (النصيحة - عدة المرید

الصادق - ...".

.....

" فتصوف الفقيه... إلخ".

هذا ويمكن القول بأن تصحيح الفكر الصوفي المغربي كان على يد الشيخ زروق.
حيث مر في ذلك بثلاث مراحل:

- مرحلة وضع الأسس والقواعد (قواعد التصوف - الإعانة).
- مرحلة رسم أسس الطريق الصوفي السني (أسس الطريق - رسائله في الموضوع - الوظيفة).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ عَرَّفَا مَعَايِبَ النَّفْسِ لِأَهْلِ الصِّفَا⁽¹⁾
فَاطْلَعُوا عَلَى كَمِينٍ غَدْرَهَا وَانْتَبَهُوا فِي شَأْنِهِمْ لِمَكْرَهَا⁽²⁾

(1) أهل الصفا: الذين جاهدوا أنفسهم وطهروها مما يعيبها ويكدرها، ويحول بينها وبين الرقي في مدارج الكمال والصفاء الروحي. قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)؛ فالشيخ أحمد زروق يميل في البيت إلى اشتقاق التصوف من الصفاء. ورجال التصوف يفرقون بين النفس الأمارة بالسوء، والروح التي صفت وطهرت من كل ما يكدرها من عيوب؛ وهي كثيرة كما سيأتي بيانه والإرشاد إليه.

(2) كمين غدرها: ما خفي من عيوبها ومكرها؛ فالنفس الأمارة بالسوء تلقي بصاحبها في مواطن الهلاك والردى عن طريق المكر والخداع وتزيين فعل السوء وتحسينه في نظر صاحبه؛ ألم يقل الله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)، ولقد زين إبليس لآدم المعصية قائلا: (ما نهاكما ربكما عن تلكم الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) سورة الأعراف من الآية 19

وقال لآدم في معرض آخر: (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) سورة طه من الآية 117 إغواء واستدراجا.

وَأَذَرَكُوا مَكَامِنَ الْعُيُوبِ وَاسْتَغْمَلُوا أَذْوِيَةَ الْمَطْلُوبِ⁽¹⁾
لَأَجْلِ مَا خُصُّوا مِنَ التَّوْفِيقِ وَالنَّظَرِ السَّدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ
تَيَسَّرَ الْعَسِيرُ مِنْهَا لَهُمْ وَبَانَ مَا كَانَ لَدَيْهِمْ مُبْهِمًا⁽²⁾
فَنَهَجُوا مَنَاهَجَ الطَّرِيقَةِ وَوَرَدُوا مَوَارِدَ الْحَقِيقَةِ⁽³⁾
ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ
وَبَعْدَ هَذِهِ فُضُولٌ مُجْمَلَةٌ تَهْدِي لِمَا وَرَاءَهَا مُحَصِّلَةٌ
لِمَا أَتَى بِهِ الْإِمَامُ السُّلَمِيُّ⁽⁴⁾ فِي جُزْئِهِ الْمُحَرَّرِ الْمُنْتَظَمِ

(1) مكامن العيوب: مواطن وأماكن العيوب الخفية التي لا يتفطن لها إلا أهل الصفاء، فأعدوا لكل عيب دواء، ولكل وسوسة رادع من قول أو فعل أو إعراض. مع التمسك الدائم بالاعتقاد الصحيح؛ لأن طول المجاهدة للنفس جعلهم على بينة من أمرها بتوفيق من الله تعالى، وعلى بينة تامة بدقائق أمورها التي غالبا ما تخفى على من سواهم؛ وفي ذلك إشارة إلى أهمية التربية الروحية وسلوك الطريق لمجاهدة الهوى والنفس والترقي بها في مدارج الكمال.

(2) مبهم: غامض وغير واضح.

(3) مناهج الطريقة: السبيل المبلغ للحقيقة التي هي مقام الإحسان.

(4) السلمي: هو أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراقه الأردني أبا. من أزد شنوءة. ولد يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الأخيرة سنة 325 هجرية (16 أبريل 936 م) ذكره الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء.

اشتهر بنسبته إلى سليم لأن والدته هي ابنة الصوفي الكبير أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السلمي نسبة إلى سليم القبيلة العربية المشهورة.

كان والد أبي عبد الرحمان شيخا ورعا زاهدا دائم المجاهدة له القدم العالي في علوم المعاملات صحب الكثير من الشيوخ؛ ورغم فقره فإنه تصدق بكل ما يملك عندما

ولد له ولده محمد شكرا لله.

لما توفي والد أبي عبد الرحمان سنة 343 هجرية انتقل للعيش مع عائلة أمه، وكفله جده لأمه الولي الصالح ابن نجيد، ولم يكن له ولد ذكر فنسب إلى السلميين. تعلم أبو عبد الرحمان بنيسابور وبدأ الكتابة على شيوخ عصره وهو طفل صغير، ولقد صرف همه لدراسة الحديث والتصوف عن شيوخ نيسابور. ثم رحل إلى العراق، والري، وهمدان، ومرو، والحجاز لكتابة الحديث ولقاء الشيوخ ومنهم: أبو الحسن الدار قطني الحافظ، وأبو نصر السراج، وأبو القاسم النصر آبادي، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني حافظ أصباهن، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النخعي والذي أكثر عنه الرواية في كتابه طبقات الصوفية، وأبو إسحاق الحيري، وأبو العباس الأصم؛ وكان أكثر الشيوخ تأثيرا فيه جده لأمه ابن نجيد.

ألف أبو عبد الرحمان السلمي كتبا كثيرة أشهرها: حقائق التفسير - الذي نحا فيه منحى صوفيا - وطبقات الصوفية.

توفي أبو عبد الرحمان السلمي بنيسابور سنة 412 هجرية.

بعد ما حمد الشيخ أحمد زروق الله على ما خص به أصل الصفاء "التصوف" من قدرة على معرفة مكامن عيوب النفس وأمراضها، ومعالجة كل عيب أو مرض بما يتطلبه من دواء نافع؛ وذلك بفضل طول مجاهدتهم والتزامهم سلوك الطريق الحق وشربهم من نبع الحقيقة الإلهية.

أردف بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه على عادة أهل الطريقة. بعد ذلك انتقل لتقديم أرجوزته التي يقدم فيها نظما جامعا لما جاء في رسالة الإمام السلمي موضحا سبب إقدامه على ذلك، وهو:

* تقريب مضامين الرسالة برجز مفيد يسهل تقييده وبالتالي حفظه وتحصيله.

راجيا أن يكون عمله مفيدا للجميع مع احتساب أجره وثوابه من الله تعالى داعيا أن يكون خالصا لوجهه تعالى دون رياء أو سمعة أو طلب شهرة. مردفا مرة أخرى بالصلاة على النبي المصطفى والمختار محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم في الحب للرسول والتمسك بهديه.

هذا وبعد الحمدلة والتصلية انتقل الشيخ زروق لذكر عيوب النفس عيبا عيبا مع تقديم النصيح لكيفية تجنب كل عيب على حدة، والدواء لمعالجة كل مرض من الأمراض النفسية.

قَرَّبْتُهَا بِرَجَزٍ مُفِيدٍ	لِلْحِفْظِ وَالتَّخْصِيلِ وَالتَّقْيِيدِ
أَرْجُو إِلَهَ أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً	مُفِيدَةً لِكُلِّ خَيْرٍ جَامِعَةٍ
دَائِمَةَ النِّفْعِ لِكُلِّ سَارٍ	مِنْ نَاطِمٍ وَكَاتِبٍ وَقَارِي
فَهُوَ حَسْبُنَا تَعَالَى وَكَفَى	ثُمَّ صَلَاتُهُ لِخَيْرِ مُضْطَفَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ	وَتَابِعِيهِمْ أَبَدًا فِي حُبِّهِ

السلمي

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي رحمه الله تعالى:
 الحمد لله الذي عرف أوليائه أهل صفوته عيوب أنفسهم وأكرمهم بمطالعة غدرها
 وجعلهم أهل اليقظة والانتباه لموارد الأحوال ووقفهم لمداداة عيوبها ومكامن شرورها
 بأدوية تخفى إلا على أهل الانتباه لمعرفةهم بأدوائها واشتغالهم بمطلب دوائها؛ فسهل
 عليهم بذلك العسير بفضله وحسن توفيقه.
 وبعد؛ فقد سألتني بعض المشايخ أكرمه الله بمرضاته أن أخرج له فصولا في عيوب
 النفس يستدل بها على ما وراءها فأسعفته لطلبته وجمعت له هذه الفصول التي أسأل الله
 الكريم ألا يبعد عني بركتها؛ وذلك بعد أن استخرت الله واستوفيته وهو حسبي ونعم
 الوكيل؛ وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

هَذَا وَحِينَ أَبْتَدِي فِي مَا أَرَدْتُ وَأَفْتَحُ الْمَعْنَى الَّذِي لَهُ قَصَدْتُ
 قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِشُؤْمِ النَّفْسِ وَمَا لَهَا مِنْ عِلَّةٍ وَلَبَسَ⁽¹⁾
 فِي يُوسُفَ وَغَيْرِهَا كَالْجَائِيَةِ وَالنَّازِعَاتِ وَهِيَ آيٌ نَاهِيَةٍ⁽²⁾
 عَنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ وَتَرْكِ مُوجِبِ الرِّضَى وَالْأُنْسِ
 وَفِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى الْمُعْظَمِ ثَلَاثَةٌ فِي طَيِّ طَيْنٍ لِأَدَمَ
 وَهِيَ الْبَلَاءُ وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ فَلْتَعْتَصِمَ بِرَبِّنَا ذِي الْقُوَّةِ
 عَلَى اضْطِبَارٍ وَادِّكَارٍ وَجِهَادٍ لِكَيْ تَنْلُ بِذَلِكَ غَايَةَ الْمُرَادِ⁽³⁾
 مُشْمِرًا فِي الْبَحْثِ عَنْ عُيُوبِكَ وَهَارِبًا لِلَّهِ مِنْ ذُنُوبِكَ⁽⁴⁾

(1) لبس: تمويه وتضليل.

(2) يشير إلى قوله تعالى:

* (وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) سورة يوسف من الآية 53.

* (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأظله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون). سور الجاثية الآية 23.

* (فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) سورة النازعات الآيات: 37/38/39/40/41.

قال الشاذلي في الحزب الكبير: "وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة" أي باعدنا عنها؛ فإن نقطة من الهوى تغطي بحرا من العلم.

قال البوصيري: إن الهوى ما تولى يعم أو يصم.
 فالنفس متى ما أعطيتها شهوتها تمادت وتطلعت إلى الأخرى.

(3) اضطبار: شدة الصبر، وما يلاقيه من عنت عليه - ادكار: لزوم تذكر غوايتها باستمرار - وجهاد: مجاهدة النفس، وهو الجهاد الأكبر كما قال عليه السلام.

(4) مشمرا: مجتهدا.

فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ سِوَى مَوْلَاهُ وَهُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ مَا يَهْوَاهُ

السلمي

قال الله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء)؛ وقال عز من قائل: (ونهى النفس عن الهوى) وقال: (أفرايت من اتخذ إلهه هواه...)؛ وفي هذه الآيات ما يدل على شرور النفس وقلة رغبتها في الخير.

حدثنا علي بن عمرو قال: قال لنا عبد الجبار بن شيراز. قال لنا أحمد بن الحسين. قال لنا أبو عاصم. قال لنا شعبة وغيره عن سلمة بن كهيل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البلاء والهوى والشهوة معجونة بطين آدم".

مِنَ عَيْبِهَا تَوْهُمُ النِّجَاةِ
 مَعَ أَنَّهَا مُقِيمَةٌ بِعَيْبِهَا
 وَذَاكَ مِنْ جَهْلِ بِأَمْرِ الدِّينِ
 لِصَالِحِ الْمَرْءِ قَوْلُ أَضْلُهُ
 قَالَتْ لَهُ رَبِيعَةُ الْعَدَوِيَّةِ
 الْبَابُ مَفْتُوحٌ وَأَنْتَ تَهْرُبُ
 كَيْفَ يَصِلُ لِمَقْصِدٍ مَنْ أَخْطَا
 وَكَيْفَ يَنْجُو مِنْ عِنَانِ شَهْوَا
 بِالْأَخْذِ فِي الْأَذْكَارِ وَالطَّاعَاتِ
 مُصِرَّةٌ عَلَى عَظِيمِ ذَنْبِهَا
 وَمُوجِبَاتِ الْفَتْحِ وَالتَّمَكِينِ
 مَنْ أَدْمَنَ الْقَرْعَ يُرْجَى الْفَتْحُ لَهُ
 كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ قَوِيَّةٌ⁽¹⁾
 مِنْهُ بِفِعْلِكَ فَكَيْفَ تَقْرُبُ
 طَرِيقَهُ وَدُونَهُ قَدْ حَطَا
 تِهِ أَرْخَى لِنَفْسِهِ وَحَبَلَ غَفْلَتِهِ

(1) رابعة العدوية: هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية مولاة آل عتيك. العابدة الصالحة المشهورة. توفيت عام 135 هجرية، وقبرها معروف بظاهر شرق مدينة القدس على رأس جبل الطور.

وجواب رابعة العدوية لصالح المري - وهو من كبار الصوفية. كان شديد الخوف من ربه. كثير البكاء - يدل على تمكنها، وعلو قدرها في علوم القوم. ولعل مرور رابعة العدوية عليه كان في بداية زهدا، وترددها على المسجد لطلب العلم؛ فقال لها قولته حاثا لها على التردد على باب التوبة.

بعد حمد الله على ما خص به أهل الصفاء (التصوف) من قدرة على معرفة مكامن عيوب النفس وأمراضها، ومعالجة كل عيب أو مرض بما يتطلبه من دواء نافع؛ وذلك بفضل طول مجاهدتهم والتزامهم سلوك الطريق الحق انتقل الشيخ زروق لتوضيح هذه الأمراض وعلاج كل مرض.

(1) وأول هذه الأمراض الإتيان بالعبادات والطاعات حسا لا معنى ودون النفاذ إلى مقاصدها الشرعية؛ وهي الابتعاد عن الفحشاء والمنكر وتجنب الموبقات. حيث أنه يتكل على أعماله الصورية الخالية من روح الإخلاص، ويعتقد أنها ستنجيه وتدخله الجنة وينسى رجاء رحمة ربه؛ وقد قال عليه السلام: "لن يدخل أحدكم الحنة بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته".

دَوَا هَذَا الْمَرَضِ الَّذِي عَادَا الْأَخْذُ بِالثَّقَى مَعَ طَيِّبِ الْغَذَا
 قَالَ حَكِيمٌ وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ مُتَّجَةً مُحَقَّقٌ مُبَيِّنٌ
 لَا تَطْمَعِ النَّجَاةَ مَعَ ذُنُوبِكَ وَلَا تُرْجِي الصَّفْوَةَ مَعَ عُيُوبِكَ

السلمي

فمن عيوب النفس: أنها تتوهم أنها على باب نجاة تقرع الباب بفنون الأذكار والطاعات والباب مفتوح ولكنه أغلق على نفسه باب الرجوع بكثرة المخالفات؛ كما أخبرني الحسين بن عياض قال: سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت أبا مسروق يقول: مرت رابعة العدوية بمجلس صالح المري؛ فقال صالح: من أدمن قرع الباب أوشك أن يفتح له؛ فقالت رابعة: الباب مفتوح وأنت تفر منه؛ فكيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق إليه في أول قدم وكيف ينجو العبد من عيوب النفس وهو الذي أطلق لها الشهوات؛ أم كيف ينجو من اتباع الهوى؛ وهو لا يتزجر عن المخالفات.

سمعت محمد بن حمدان يقول: سمعت محمد بن اسحاق الثقفي يقول سمعت ابن أبي الدنيا يقول قال بعض الحكماء: "لا تطمع أن تصحو وبك عيب، ولا تطمع أن تنجو وعليك ذنب".

ومداواة هذه الحالة ما قاله سري السقطي؛ وهو سلوك سبيل الهدى وطيب الغذاء وكمال التقى.

مِنْ عَيْبِهَا إِذَا بَكَتْ تَفَرَّجَتْ مِنْ حُزْنِهَا وَاسْتَرْوَحَتْ وَابْتَهَجَتْ
وَذَاكَ مِنْ مَّيْلِهَا لِلرَّاحَةِ وَطَلَبِ الْعَبْدِ لِلْاِسْتِرَاحَةِ
دَوَاؤُهُ بُكَاءُهُ فِي الْحُزَنِ⁽¹⁾ عَوَضَ مَا يُبْكِيهِ لِأَجْلِ الْحُزَنِ
إِذْ مَنْ بَكَى مِنْ حُزْنِهِ يَسْتَرْوَحُ وَبِالْبُكَاءِ فِيهِ تَزِيدُ التُّرَحُ⁽²⁾

السلمي

ومن عيوبها إذا بكت هاجت به واستروحت.
ومداواتها: ملازمة الكمد حتى لا يتفرغ إلى الاستراحة؛ وهو أن تبكي في الحزن، ولا تبكي من الحزن؛ فإن من بكى من الحزن يستروح من بكائه، ومن بكى في الحزن يزيده البلاء كمدا وحزنا.

(1) الحزن: العصيان وعدم الانقياد.

(2) الترح: الأحزان.

وثاني عيب للنفس تخلصها من همومها بالبكاء؛ لأن ذلك يريحها مما تجد من حزن أو ضيق، وهي عادة الكثير من الناس؛ وفي ذلك استدراج من النفس والشيطان لأن الإنسان يعتقد ببكائه أنه يطهر نفسه مما ارتكب من إثم، أو أنه يفعل ذلك ندما وتوبة، وفي الحقيقة فإن النفس تميل إلى البكاء عندما تهجم عليها الهموم طلبا للترويح والتنفيس وليس ندما أو طلبا للتوبة. إذ المطلوب عند الحزن الصبر على البلاء وليس الجزع والبكاء.

هذا ولقد اشتهرت فرقة من الصوفية بالبكاين لاتخاذهم البكاء وسيلة للندم وطلب التوبة.

ودواء هاته الآفة أن يحمل الإنسان نفسه على البكاء حملا ويدفعها إليه دفعا عندما تمتنع عن ذلك لأن البكاء لمجرد الاسترواح يشجع النفس على الوقوع في المعاصي من جديد. فضلا عن الرياء الذي ينجم عنه.

مِنْ عَيْبِهَا رَجَاءُ نَفْعِ الْخَلْقِ وَخَوْفُهُمْ أَيْضًا، وَهُمْ الرِّزْقِ
 وَذَلِكَ مِنْ غَلَبَةِ الْأَوْهَامِ وَالضَّعْفِ فِي الْيَقِينِ وَالْأَفْهَامِ
 لِأَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْ مَوْلَاهُ لَا يَزْتَجِي لِشَأْنِهِ سِوَاهُ
 دَوَاؤُهُ بِصِحَّةِ الْإِيمَانِ وَعَدَمِ النَّظَرِ لِلْأَكْثَوَانِ
 وَفِكْرِهِ فِي عَجْزِهَا وَقَهْرِهَا وَعَزْلِهَا عَنْ نَفْعِهَا وَضَرِّهَا
 إِذْ مَنْ بِهِ الْحَاجَةُ لَمْ يُوَاتِهِ فِي غَيْرِهِ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَاتِهِ
 وَهَمُّهُ بِرِزْقِهِ عَذَابٌ يُفَوِّتُهُ بِفِعْلِهِ الصَّوَابُ
 مَعَ ضَمَانِ رَبِّنَا لِرِزْقِهِ وَرِزْقِ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ خَلْقِهِ⁽¹⁾
 فَمَنْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِالْأَرْزَاقِ فَإِنَّهُ مُتَّهِمُ الرِّزَاقِ

(1) مشيرا إلى قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا وعلى الله رزقها...) ومن عيوب النفس اللجوء إلى الخلق لجلب نفع أو دفع ضرر في حين أن النافع والضرار هو الله، وهذا لا يعني منع الاستعانة بالغير في قضاء المآرب - جلبا أو دفعا -؛ بل المنهي عنه هو الاعتقاد بأن الغير أيا كان قادرا على ذلك؛ وإلا فإن طلب العون جائز؛ بل مطلوب شرعا شريطة الاعتقاد بأن النتائج من عند الله، وأن الغير ما هو إلا وسيلة.

ومن عيوبها انشغالها بطلب الرزق. دون التورع في الطلب، ودون إتقاء الشبهات والمحرمات. في حين أن الله تعالى قد تكلف بالرزق، وقدره؛ فليقت الإنسان ربه، وليجمل في الطلب؛ فمن شك في رزقه؛ فقد شك في ربه. إلا أن ذلك لا يمنعه من الطلب، واتخاذ الأسباب، والتوكل.

قال صلى الله عليه وسلم: "لو توكلتم على الله خير توكله لرزقتم؛ كما ترزق الطير تغدوا خماصا، وتروح بطانا".

السلمي

ومن عيوبها استكشافه الضرر ممن لا يملكه، ورجاؤه النفع ممن لا يقدر عليه، واهتمامه برزقه؛ وقد تكفل الله له بالرزق.

ومداواتها الرجوع إلى صحة الإيمان لما أخبر الله به في كتابه بقوله: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم).

وبقوله: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها). ويصلح له هذه الحال إذا نظر إلى عجز الخلق وضعفهم فيعلم أن كل من كان محتاجا لا يقدر على قضاء حاجة غيره، ومن يكون عاجزا لا يمكنه أن يصلح أسباب غيره؛ فيسلم من هذه الخلّة ويرجع بالكلية إلى ربه.

مِنْ عَيْنِهَا الْفُتُورُ كَالْتَّقْصِيرِ
 أَكْبَرُ مِنْهُ عَدَمُ اهْتِمَامِهِ
 ثُمَّ الْعَمَى عَنْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ
 أَكْبَرُ مِنْهُ مَنْ يَرَى تَوْقِيرَهُ
 قَبِيحَهُ فِي عَيْنِهِ قَدْ حَسَنَهُ
 وَذَاكَ مِنْ عَدَمِ شُكْرِ الْعَمَلِ
 دَوَاؤُهُ دَوَامُ الْأَلْسِنَةِ
 ثُمَّ لُزُومُ الذِّكْرِ وَالتَّلَاوَةِ
 وَالْبَحْثُ عَنْ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ
 وَحِفْظُ حُرْمَةِ ذَوِي الْإِسْلَامِ⁽¹⁾
 بِجَدِّهِ لِحَالِهِ فِي طَاعَتِهِ
 حَتَّى يُرَى فِي حَلْبَةِ السِّبَاقِ
 وَالتَّزْكُ لِلنُّهُوضِ وَالتَّشْمِيرِ
 لِنَقْصِهِ وَعَدَمِ اتِّهَامِهِ
 أَكْبَرُ مِنْهُ عِنْدَ ذِي التَّخْرِيرِ
 مَعَ أَنَّهُ مُلَازِمٌ تَقْصِيرِهِ
 وَشَوْءٌ فَعَلِهِ لَهُ قَدْ زَيَّنَهُ
 وَعَدَمُ اغْتِنَائِهِ بِالْعِلَلِ
 لِرَبِّنَا وَالذِّكْرُ لِلْإِلَهِ
 وَفِكْرَةٌ تَذْهَبُ بِالْعِبَادَةِ
 وَتَزْكُ كُلُّ بَاطِلٍ وَمُشْتَبِهٍ
 ثُمَّ دُعَاءُ السَّادَةِ الْأَغْلَامِ⁽²⁾
 وَبِلُزُومِ بَرِّهِ وَخِدْمَتِهِ
 مُشْمَرًا لِلسَّيْرِ وَالسِّبَاقِ

(1) وذلك بعدم التعرض لحرمتهم، وأعراضهم، وأموالهم.

قال صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى". أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة.

(2) أي أن يتعرض لنفحات الله تعالى؛ بأن يطلب من ذوي الفضل، والخير الدعاء الصالح.

السلمي

ومن عيوبها فترتها في حقوق كان يقوم بها قبل ذلك؛ وأكبر منها عيباً من يرى أنه متوقر مع فتوره وتقصيره؛ وهذا من قلة شكره في وقت توفيقه للقيام بهذه الحقوق؛ فلما قل شكره أزيل من مقام التوقير إلى مقام التقصير، وستر عليه نقصانه؛ فاستحسن قبائحه قال الله العظيم: (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً).

والخلاص من ذلك بالالتجاء إلى الله، وملازمة ذكره، وقراءة كتابه، والبحث عن مطلبه، وتعظيم حرمة المسلمين، وسؤال أولياء الله الدعاء له بالرد إلى حاله الأول. لعل الله يمن عليه بأن يفتح عليه سبيل خدمته وطاعته.

وَذَاكَ مِنْ شَوْبٍ رِيَاءٍ قَدْ حَصَلَ ⁽¹⁾	مِنْ عَيْبِهَا فَقَدْ حَلَاوَةَ الْعَمَلِ
فِي جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ ذَاتِ اللَّبْسِ	أَوْ تَزَكُّ سُنَّةٍ وَخَوْضُ النَّفْسِ
لِكَيَّ يَنَالَ صِحَّةَ النِّهَايَةِ	دَوَاؤُهُ تَضَحِيحُ الْبِدَايَةِ
وَالْأَخْذُ بِالسُّنَّةِ وَالْخَلَاصِ	وَذَاكَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ
وَقَلَّةِ الْأَكْلِ عَلَى الْمُدَاوَمَةِ	مِنْ تَبِعَاتٍ وَخُفُوقٍ لَازِمَةِ
وَكَثْرَةِ الْأَكْلِ أَسَاسُ الْعَيْبِ ⁽²⁾	فَخِفَّةُ الْبَطْنِ دَوَاءُ الْقَلْبِ
وَإِنْ تَجْعُ يَكُونُ مِنْهَا الْإِغْضَا ⁽³⁾	إِنْ شَبِعَ الْبَطْنُ تَجُوعُ الْأَعْضَا

(1) شوب: أي اختلاط.

(2) قال صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس". أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، وابن ماجه في كتاب الأطعمة.

(3) الإغضاء: أي الإعراض عن الشيء، وعدم التعرض له، ومنه غرض الطرف.

- قال ابن عطاء الله في الحكم: "الأعمال أشباح، وروحها وجود سر الإخلاص فيها".

- قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "كثرة الشبع تذهب الفطنة، وتفسد الذهن، وتعين على المعاصي؛ فقد قيل: البطن إذا جاع شبع سائر الجسد، وإذا شبع جاع سائر الجسد، والجوع المفرط مفسد للفكرة، ومقو للخيالات مفسد للقلب".

وقال أيضاً: "الشبع من الحلال مبدأ كل شر؛ فكيف به من الحرام".

هذا ولقد أكدت الدراسات الطبية الحديثة على أن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان في بدنه يرجع سببها إلى الإفراط في تناول الطعام؛ ولذلك فهم ينصحون بالحمية، وعلاج النفوس أولى من علاج الأبدان.

السلمي

ومن عيبيها: أن يطيع فلا يجد لطاعته لذة، وذلك لشوب طاعته بالرياء، وقلة إخلاصه في ذلك، أو ترك سنة من السنن.
ومداواتها: مطالبة النفس بالإخلاص، وملازمة السنة في الأفعال، وتصحيح مبادئ أموره ليصح له منتهاها.

يَشْهَدُهُ مِنْ مَشْهَدٍ قَدْ عَظُمَا	مِنْ عَيْبِهَا رَجَاؤُهُ الْخَيْرُ بِمَا
إِذْ حَقَّه فِي ذَا شُعُورٍ يَأْسِه	وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ
إِذْ رُبَّمَا بِذَنْبِهِ قَدْ ضَرَّهُمْ	لَهُمْ لِأَجْلِ كَوْنِهِ حَاضِرَهُمْ
خَيْرٌ لَهُ مِنْ شُغْلِهِ بِأَنْسِهِ	نَعَمْ وَإِزْرَاءِ الْفَتَى بِنَفْسِهِ
كَيْفَ تَرَى حَالَةَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ؟	قِيلَ لِبَعْضِ سَادَةٍ فِي السَّلَفِ
لَكُنْتُ أَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ	فَقَالَ لَوْلَا أَنْ كُنْتُ مَعَهُمْ
فِي تَهْمَةِ النَّفْسِ بِكُلِّ تَهْمَةٍ ⁽¹⁾	كَذَا يَكُونُ حَالُ أَهْلِ الْيَقَظَةِ
لِكَوْنِهِ فِي ذَنْبِهِ يَرَاهُ	دَوَاؤُهُ الْحَيَاءُ مِنْ مَوْلَاهُ
وَاسْوَأَاتَا وَإِنْ ذُنُوبٌ تُغْفَرُ ⁽²⁾	فَعَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ أَثَرُ

(1) عدم الاغترار بالعمل مهما كان والاعتماد على رحمة الله تعالى؛ وكذا عدم تزكية النفس لأنها أصل كل نقيصة قال يوسف عليه السلام: (وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إنه غفور رحيم) سورة يوسف الآية: 53.

(2) فضيل بن عياض: هو أبو علي فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر اليربوعي (أحد أقطاب التصوف). أصله من الكوفة إلا أنه ولد بسمرقند وقيل بخراسان بكورة أبيورد. كان شاطرا يقطع الطريق؛ ثم تاب فتاب الله عليه وحسنت سيرته. قدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تنسك وتعبد، وانتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن توفي بها عام 187 هجرية.

وقف الفضيل بعرفة طيلة اليوم طارقا برأسه إلى الأرض صامتا؛ فلما قرب وقت الإفاضة رفع رأسه؛ وقال مخاطبا ربه: "واسوأته؛ وإن غفرت لي"؛ وذلك استحياء من الله.

كان ابنه علي من كبار الزهاد.

وَذَاكَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِرَبِّهِ وَمِنْ شُهُودِهِ عَظِيمِ قُرْبِهِ

السلمي

ومن عيوبها: أنه يرجو لنفسه الخير في حضور المشاهد؛ ولو تحقق ليئس لأهل المشهد من شؤم حضوره؛ كما قيل لبعض السلف: "كيف رأيت أهل الموقف؟ فقال: رأيت قوما لولا أنني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم". هكذا يكون ظن أهل اليقظة بأنفسهم.

دواؤها: أن يعلم أن الله عز وجل؛ وإن غفر له ذنوبه فقد رآه مرتكبا على الخطايا والمخالفات؛ فيستحيي من ذلك ويسيء الظن بنفسه؛ كما قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: واسوأها منك وإن غفرت؛ وذلك لتحقيقه بعلم الله له ونظره إليه.

قال ابن عيينه: "ما رأيت أحدا أخوف من الفضيل وابنه".
ومن أقوال الفضيل: "لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة".

مِنْ عَيْبِهَا فَقَدْ حَيَاةٌ لِأَجَلِهِ
 بِالْجُوعِ وَالذُّلِّ وَبِالْمُخَالَفَةِ
 وَهِيَ لَا تَحْيَى بِوُجْدِ الْحَقِّ
 وَذَاكَ مِنْ عُثُوبِهَا وَشُؤْمِهَا
 دَوَاؤُهُ فِي ذَاكَ غَيْرُ دَائِهَا
 فَانْطَبَعَتْ لِلْحَقِّ وَإِتْبَاعِهِ
 قَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ الرَّازِ⁽²⁾
 تَقَرُّبُ الْعَبْدِ بِمَوْتِ نَفْسِهِ
 أَيْضًا وَقَالَ الْجُوعُ كَالطَّعَامِ
 قُلْتُ وَفِي إِفْرَاطِهِ إِضْرَارُ
 فَلَتَأْخُذَنَّ بِالْوَسْطِ الْمَحْمُودِ
 إِلَّا بِمَوْتٍ فِي الْحَيَاةِ الْعَاجِلَةِ
 وَتَرْكِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ أَلْفَهُ
 إِلَّا بِمَوْتِهَا بِفَقْدِ الْخَلْقِ
 وَجَهْلِهَا بِقَدْرِهَا فِي عِلْمِهَا⁽¹⁾
 إِذْ خَالَفَتْ مَا كَانَ مِنْ أَهْوَائِهَا
 بِالتَّزَكُّ لِلْبَاطِلِ وَازْتِفَاعِهِ
 كَلِمَةً بَلِيغَةً الْإِيْجَازِ
 لِرَبِّهِ يَقْضِي بِحَظِّ نَفْسِهِ
 لِبَدَنِ الصِّدِّيقِ فِي الْقَوَامِ⁽³⁾
 إِذْ تَفْلُسُ الْأُبْدَانُ وَالْأَفْكَارُ
 وَلْتَقْتَنِعْ بِالْحَاصِلِ الْمَوْجُودِ

(1) عتوها: علوها وطغيانها.

(2) يحيى بن معاذ الرازي: هو الواعظ أبو زكرياء يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أحد الأوتاد. كان أوحده وقتة في طريق التصوف. توفي سنة 258 هجرية، وقبره معروف بنيسابور. من أقواله: "الفوت أشد من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق".

(3) لأن الصوفي عندما يصل إلى درجة الصفاء الروحي يصبح الجوع والشبع عنده سيان؛ فالشبع لا يطغيه والجوع لا يفتر همته عن ذكر ربه. قال الرازي: "جوع التوابين تجربة وجوع الزاهدين رياضة وجوع الصديقين تكرمة".
 وكان يقول: "الجوع نور، والشبع نار، والشهوة الحطب يتولد منه الإحراق؛ فلا تنطفئ ناره حتى يحرق صاحبه".

وكان يفضل الغنى على الفقر؛ لأن الغنى يساعد العبد على اتقاء المحارم والتقرب إلى الله بالطاعات وأوجه البر والإحسان.

فَطَرَفًا قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمًّا إِذْ قَدْ يُخِلُّ حِكْمَةً وَحُكْمًا⁽¹⁾

السلمي

ومن عيوبها أنك لا تحييها حتى تميتها وتتلها: أي لا تحييها للآخرة حتى تميتها عن الدنيا، ولا تحييها بالله حتى تموت عن الأغيار؛ ولذلك قال يحيى بن معاذ: "من تقرب إلى الله بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه".
وذلك أن يمنعها عن شهواتها، ويحملها على مكارهها؛ فإن النفس لا تألف الحق أبداً. ومداواتها: السهر، والجوع، والظمأ، وركوب مخالفات الطبع والنفس، ومنعها عن الشهوات. سمعت محمد بن ابراهيم بن الفضيل يقول: سمعت الرومي يقول: سمعت ابن معاذ يقول: "الحق طعام به يقوي الله أبدان الصديقين".

(1) ذم الشرع كلا من الإفراط والتفريط في الأمور وطلب التوسط في كل شيء، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).
وقوله تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا).
وقوله صلى الله عليه وسلم: "خير الأمور أوسطها".

قال الشيخ أحمد زروق في النصيحة الكافية: "والجوع المفرط مفسد للفكرة، ومقو للخيلات. مفسد للقلب".

مِنْ عَيْبِهَا عَدَمُ إِلْفِ الْحَقِّ بِرَفْضِ مُوجِبِ الْهُدَى وَالصِّدْقِ
 وَذَاكَ مِنْ إِهْمَالِهَا فِي الْحَالِ وَتَرْكِهَا لِمُوجِبِ الْكَمَالِ
 فَكُلُّ مَنْ أَهْمَلَهَا تَهْلِكُكَه وَفِي الضَّلَالِ وَالْهَوَى تَسْلُكُكَه
 إِذْ طَبَعَهَا مُخَالَفٌ لِلطَّاعَةِ مُوَالِفٌ التَّفْرِيطِ وَالِإِضَاعَةِ
 دَوَاؤُهُ الْخُرُوجُ مِنْهَا كُلِّهَا لِرَبِّهَا بِأَصْلِهَا وَفَضْلِهَا
 قِيلَ لِابْنِ زَادَانَ الَّذِي قَدْ يَخْرُجُ لِرَبِّهِ فَأَيُّ أَضَلِّ يَنْهَجُ؟⁽¹⁾
 قَالَ يَشْرُكُ كُلَّ مَا مِنْهُ خَرَجَ وَعَدَمَ اللَّحْظِ لِمَا عَنْهُ دَرَجُ
 قِيلَ فَهَذَا حُكْمٌ مَنْ لَهُ قَدَمٌ⁽²⁾ فَكَيْفَ حُكْمُ خَارِجٍ عَنِ الْعَدَمِ؟
 قَالَ وَجُودٌ لَذَّةُ الْمُسْتَأْنِفِ عَوَضَ مُرِّهِ الَّذِي فِي السَّالِفِ
 فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ طَعْمَ الْحَقِّ فِي نَفْسٍ فَسَالِكَ بِالصِّدْقِ
 وَغَيْرُهُ فَلَيْتَهُمْ أَعْمَالُهُ إِذْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ كَمَالُهُ

السلمي

عيوبها: أنها لا تألف الحق أبداً، والطاعة خلاف سجيته وطبعها؛ ويتولد أكثر ذلك من متابعة الهوى وإتباع الشهوات.
 ودواؤها: الخروج منها بالكلية إلى ربها؛ كما سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول:
 سمعت أبو القاسم المصري ببغداد يقول: سأل رجل ابن زادان عن العبد إذا خرج إلى الله بأي الأصل أن يخرج؟ قال: "على أن لا يعود إلى منه خرج، ويحفظ نفسه عن ملاحظة ما تبرأ منه إلى الله"؛ فقلت له: "هذا حكم من خرج عن وجود فكيف حكم من خرج عن عدم؟" فقال: "وجود الحلاوة في المستأنف عوضاً عن المرارة فيما سلف".

(1) ابن زادان: أحد كبار المتصوفة. له مقام عال في السلوك، ورياضة النفس.

(2) قدم: بفتح أو كسر حرف القاف وجهان. يقال له قدم راسخ في الطاعة أو قدم فيها.

مِنْ عَيْبِهَا الْخَوَاطِرُ الرَّدِيَّةُ
 فَتَزِيدُ بِإِلْفِهَا الْمُخَالَفَةُ
 إِذْ يَلْبَثُ الْخَاطِرُ بِالتَّكْرَارِ
 وَذَاكَ مِنْ فَقْدَانِهَا الْمُرَاقَبَةَ
 دَوَائِهُ الرَّدُّ لَهَا فِي الْإِبْتِدَا
 وَكَوْنُهُ مُرَاقِبًا لِرَبِّهِ
 كَأَنَّهُ مُتَفَرِّدٌ لِلْحَقِّ
 فِي حَدِيثِ الْمُضْطَفَى الْمُخْتَارِ
 لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صُورِكُمْ
 فَخَيْرُهَا ذُو رِقَّةٍ وَذُو صَفَا
 وَأَوَّلُ الذَّنْبِ يُقَالُ الْخَطِئَةُ
 ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَهَا مُعَارِضَةٌ
 ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ وَسْوَسةٌ
 ثُمَّ تَهْيِجُ شَهْوَةٌ مِنَ الْهَوَى
 إِنْ لَمْ تَدَارِكْ بِجَهَادِ النَّفْسِ

تَأْلُفُهَا وَالْحَالَةُ الدَّنِيَّةُ
 وَكَوْنُهَا لِفِعْلِهَا مُوَالِفَةٌ
 مُرْتَسِمًا فِي قُوَّتِهِ الْأَفْكَارِ
 وَعَدَمَ الذِّكْرِ عَلَى الْمُوَظَّاتِ
 بِالْخَوْفِ وَالذِّكْرِ عَلَى طُولِ الْمَدَى
 وَعَامِلًا عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ
 وَالْجِسْمِ لَا عَلَيْهِ بَيْنَ الْخَلْقِ
 نَصٌّ عَلَيْهِ عَمَلُ الْأَبْرَارِ
 وَلَا إِلَى الْأَعْمَالِ بَلْ قُلُوبِكُمْ
 وَشَرُّهَا ذُو غِلْظَةٍ وَذُو جَفَا⁽¹⁾
 كَالسَّيْلِ فِي ابْتِدَائِهِ بِالْقَطْرَةِ
 مَا لَمْ يَكُنْ يَكْرَهُهُ مُعَارِضَةٌ
 مَا لَمْ يَكُنْ يَكْرَهُهُ قَدْ سَايَسَهُ
 تَذَهَبُ بِالْخَيْرِ وَتُضْعَفُ الْقَوَى
 تُثِيرُ كُلَّ عِلَّةٍ وَلُبْسِ

(1) وخيرنا في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى في حقه: (فبما رحمة من الله نلت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) الآية 159 من سورة آل عمران.

وقال تعالى في حقه: (بالمومنين رؤوف رحيم).

وقال تعالى في حق نبيه: (وإنك لعلی خلق عظیم). الآية 4 من سورة القلم.

والجدير بالمؤمن أن يتخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في سلوكه وأخلاقه.

إِذْ غَطَّتِ الْمَعْقُولَ ذَا الْبُرْهَانَ وَالْعِلْمَ ذَا الْحُجَّةِ وَالْبَيَانَ
فَأَغَمَّتِ السَّرَائِرَ الْمُنَوَّرَةَ وَطَمَسَتْ بِصِيرَةِ الْمُسْتَبْصِرَةِ
فَأَضْبَحَ الْقَلْبُ لِذَاكَ عَمَاءً وَقَدْ ثَنَاهَا ظُلْمَةً وَظُلْمًا
وَذَاكَ مَعْنَى جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ

السلمي

من عيوبها: أنها تألف الخواطر الردية؛ فتستحكم عليها بالمخالفات. ومداواتها: رد تلك الخواطر في الابتداء لئلا يستحكم عليه ذلك؛ وذلك بالذكر الدائم وملازمة الخوف بالعلم أن الله يعلم ما بسرّك؛ كما يعلم الخالق ما في علانيتك؛ فيستحيي أن يصلح للخلق موضع نظرهم، ولا يصلح موضع نظر الحق. وقد قال عليه السلام: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم".

وسمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: أول الذنب الخطرة؛ فإن تداركها صاحبها بالمجاهدة؛ وإلا هاج منشأ الشهوة. مع طلبه الهوى فغطى العقل والبيان، وهكذا روي في بعض الأسفار أن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان.

مِنْ عَيْبِهَا الشُّغْلُ بِعَيْبِ النَّاسِ وَتَرْكُ مَا بِهَا مِنَ الْأَذْنَانِ⁽¹⁾
 وَذَاكَ مِنْ كِبَرٍ وَمِنْ إِعْجَابٍ وَغَفْلَةٍ عَنْ مُوجِبِ الْعَذَابِ
 فَقَدْ أَتَى الْوَيْلُ لِكُلِّ هُمَزَةٍ وَبَعْدَهُ فِي ذَاكَ كُلِّ لُمَزَةٍ⁽²⁾
 وَفَسَّرُوا آيَةَ الْعَيَّابِ وَيُلُّ لَهُ حَلٌّ بِهِ الْعَذَابِ
 دَوَاؤُهُ إِبْصَارُ عَيْبِ نَفْسِهِ وَبِخْتُهُ عَنْ مُوجِبَاتِ تَغْسِيهِ
 وَضَحْبَةُ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ بِالِاتِّبَاعِ وَالِاسْتِمْرَارِ
 مِنْ عَالِمٍ وَرِعٍ ذِي تَقَى أَوْ صَالِحٍ فِي شَأْنِهِ تَحَقُّقَا
 وَدُونَ ذَا الشُّكُوتِ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَنَشْرُ مَا يَظْهَرُ مِنْ أَعْدَارِهِمْ
 رَجَاءٌ سِثْرٍ ذَنْبِهِ وَعَيْبِهِ وَخَوْفُهُ افْتِضَاحِهِ بِسَبَبِهِ
 فِي الْحَدِيثِ سِثْرَةُ الْمَرْءِ أَخِيهِ سِثْرٌ لَهُ فِي كُلِّ عَيْبٍ يَقْتَفِيهِ⁽³⁾
 وَفِيهِ أَيْضًا مَنْ يَتَّبِعُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ اللَّهُ وَأَبْدَى زَلَّتَهُ
 وَإِنْ يَكُنْ بِجَوْفٍ بَيْتٍ بَخْلًا جَاءَ بِمَعْنَاهُ الرَّسُولُ ذُو الْعَلَا
 قَالُوا رَأَيْنَا مَنْ خَلِيَ عَنْ عَيْبِهِ فَعَادَ عَيْبًا شَغْلَهُ بِغَيْرِهِ

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس.
الأذناس: جمع دنس. كل ما يلطخ الروح أو النفس من أخلاق سيئة وأفعال ذميمة
ممقوتة من الشرع.

(2) يشير إلى قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) سورة الهمزة الآية 1.
والويل: واد في جهنم، والهمزة: الطعان في أعراض الناس، واللمزة: العياب لهم
المتتبع لعوراتهم

(3) قال صلى الله عليه وسلم: "من ستر أخاه المسلم ستره الله، ومن تتبع عورات أخيه
تتبع الله عورته ففضحه ولو في جوف بيته " أخرجه الترمذي في كتاب البر
والإحسان.

وَأَخَذَتِ النَّاسُ لَهُ عِيُوبًا كَانَ لَدَيْهِمْ شَانِئًا مَحْجُوبًا
وَأَخْرُونَ بِالْعُيُوبِ اشْتَهَرُوا فَسَكَّتُوا عَنْ غَيْرِهِمْ فَسُتِرُوا
وَزَالَتِ الْعُيُوبُ عِنْدَ النَّاسِ وَطَهَّرُوا مِنْ جُمْلَةِ الْأَذْنَانِ
فَلْتَعْنِ يَا صَاحِبَ هَذِهِ الْخِصْلَةِ فَإِنَّهَا مُصِيبَةٌ وَذَلَّةٌ
وَتَرْكُهَا مَنُفَعَةٌ عَظِيمَةٌ وَوَضَفُ كُلِّ مُهْجَةٍ كَرِيمَةٍ

السلمي

ومن عيوبها: اشتغالها بعيوب الناس وعماها عن عيوبها.
دواؤها: رؤية عيب النفس وعمله بها ومعرفة بمكرها ومداومة مجاهدتها في الأسفار
والانقطاع وصحبة الصالحين والالتزام لأوامرهم.
وأقل ما فيهم إذا لم يعمل في مداواة عيوب نفسه. أن يسكت عن عيوب الناس،
ويعذرهم فيها، ويستر عليهم ذبوبهم رجاء أن يصلح الله بذلك عيوبه؛ لأن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: "من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته"، وقال عليه السلام: "من تتبع
عورة أخيه تتبع الله عورته ثم يفضحه ولو في جوف بيته".
سمعت محمد بن عبد الله بن شادان يقول سمعت ابن زاذان المدني يقول: "رأيت
أقواما من الناس كانت عليهم عيوب؛ فسكتوا عن عيوب الناس؛ فستر الله عيوبهم وزالت
عنهم تلك العيوب، ورأيت أقواما لم تكن لهم عيوباً اشتغلوا بعيوب الناس؛ فصارت لهم
عيوب".

مِنْ عَيْبِهَا الْإِضْرَارُ وَالتَّوَانِي
وَذَاكَ مِنْ أَنْسٍ لَهَا بِالْكَسَلِ
وَعَدَمِ التَّقْوَى وَالْاِخْتِيَاظِ
دَوَائُهُ بِقَوْلَةِ الْجَنْيْدِ⁽¹⁾
بِتَوْبَةٍ تَذْهَبُ بِالْإِضْرَارِ
وَبِرَجَاءٍ بَاعِثٍ عَلَى الْعَمَلِ
وَالْعَجْزُ وَالتَّسْوِيفُ وَالْأَمَانِي
وَقَلَّةُ التَّوْفِيقِ حَالُ الْعَمَلِ
وَالْخَوْضُ فِي مَوَارِدِ الْخِبَاطِ
جَوَابَ مَنْ سَأَلَ طَرِيقَ الْقَصْدِ
وَرَفْضُ تَسْوِيفِ بَخْوَفِ جَارِ
وَالذِّكْرُ دَائِمًا وَتَقْصِيرُ الْأَمَلِ

(1) الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري. لقب بذلك لأن أباه كان يبيع الزجاج.

شيخ وقته ونسيج وحده وإمام الطائفة الصوفية. أصله من نهاوند ومولده ومنشأه ببغداد. صحب جماعة من المشايخ، وفي مقدمتهم السري السقطي حيث تتلمذ عليه وأخذ عنه طريقته في التصوف؛ كما صحب الحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور حيث أصبح يفتي في حلقاته بحضرته. ذكره السلمي على رأس الطبقة الثانية من الصوفية، وطريقته في التصوف هي المعتمدة من طرف المغاربة والشاذلية؛ وإليه تنسب الأبيات:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر
وقدم إماما كنت أنت إمامه
فهذي صلاة العارفين بربهم
واللشيخ زروق شرح عليها (انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2589 د).
درس الفقه على أبي ثور حتى صار يفتي في حلقاته بحضرته.

من أقوال الجنيد: "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة".

وقوله: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتدى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته؛ فإن طرق الخير كلها مفتوحة عليه" انظر طبقات الصوفية.. توفي الجنيد سنة 297 هجرية

وَأَضْلُ كُلِّهَا فُؤَادُ تَفَرُّدٍ تَوْحِيدُهُ مُحَرَّرٌ مُجَرَّدُ
بِخَالِصِ التَّوْحِيدِ فِي الطَّرِيقَةِ كَمِثْلِ أَضْلِ الْغُضَنِ فِي الْحَدِيقَةِ

السلمي

داؤها الغفلة والتغاضي والإصرار والتسويق وتقريب الأمل وتبعيد الأجل. مداواتها ما سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر الخليدي يقول سئل الجنيد كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله؟ فقال: "توبة تحل الإصرار، ورجاء يبعث على مسالك العمل، وذكر الله على اختلاف الأوقات، وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها عن الأمل".
 قيل له: "فبما يصل العبد إلى هذا؟" فقال: "بقلب مفرد فيه توحيد مجرد"،

مِنْ عَيْبِهَا رُؤْيَتْهُ لِنَفْسِهِ
 وَذَاكَ مِنْ غَلَبَةِ الْأَوْهَامِ
 إِذْ مَنْ يَخْفَ يَوْمَ طُولِ رَمْسِهِ
 دَوَاؤُهُ رُؤْيَا فَضَّلَ اللَّهُ
 وَالْأَخْذُ بِالْجِدِّ وَبِالتَّشْمِيرِ
 وَكُلُّ مَنْ عَنْ نَفْسِهِ رِضَا
 إِذْ صُحْبَةُ الرَّاضِي تَزِيدُهُ الرِّضَا
 وَصُحْبَةُ الْمُجْتَهِدِ النَّخْرِيرُ
 وَالْوَاسِطِي قَالَ قَوْلًا حَسَنًا⁽¹⁾
 وَمَنْ رَأَى أفعالَهَا الْجَمِيلَةَ
 لِأَنَّ ذَاكَ يَقْتَضِي اسْتِحْسَانَ مَا
 فَلَتَتْهُمْ نَفْسُكَ طُولَ الدَّهْرِ
 وَرَفَقَهُ بِهَا لِأَجْلِ حِسِّهِ
 وَعَدَمَ الْخَوْفِ مِنَ الْأَثَامِ
 لَمْ يَتَصَوَّرْ رَفَقَهُ بِنَفْسِهِ
 وَتَرَكَ كُلَّ غَافِلٍ وَلَاهِ
 وَتَرَكَ صُحْبَةَ ذَوِي التَّقْصِيرِ
 وَلَا يَرَى الْعَيْبَ الَّذِي أَتَاهُ
 وَتَدْفَعُ الْعَبْدَ إِلَى سُوءِ الْقَضَا
 تَزِيدُ فِي الْجِدِّ وَفِي التَّشْمِيرِ
 أَقْرَبُ شَيْءٍ مَقْتُ مَنْ بِهَا اعْتَنَى
 بِأَنَّهَُا حَسَنَةٌ فَضِيلُهُ
 تَأْتِ بِهِ لِمَا يَكُونُ مَأْتِمًا
 مُعْتَصِمًا بِاللَّهِ فِي ذَا الْأَمْرِ

السلمي

عيوبه: رؤية نفسه، والشفقة عليها.
 دواؤه: رؤية فضل الله تعالى عليه في جميع الأحوال؛ ليسقط ذلك رؤية النفس.
 سمعت الرازي يقول سمعت الواسطي يقول: "أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأفعالها".

(1) الواسطي: هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي. من أصحاب النوري والجنيد. أصله من فرغانة بخراسان. صاحب الجنيد والنوري، وهو من كبار علماء عصره. أقام بمرور وتوفي بها سنة 331 هجرية. وهو المقصود هنا.
 من لأقواله: "الخوف والرجاء زمانان يمنعان من سوء الأدب".

مِنْ عَيْبِهَا تَزْيِينُهُ الظَّوَاهِرُ مَعَ تَرْكِهِ لِزِينَةِ السَّرَائِرِ
 وَذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِلخَلْقِ وَتَرْكِهِ لِمُوجِبَاتِ الصِّدْقِ
 دَوَائِدُهُ أَنْ يَغْتَنِي بِسِرِّهِ لِيُصْلِحَ اللَّهُ جَمِيعَ أَمْرِهِ
 إِذْ فِي الْحَدِيثِ مُصْلِحُ السَّرَائِرِ لِرَبِّهِ يُصْلِحُ مِنْهُ الظَّاهِرُ
 وَفَضْلُ الْبَشِيرِ الرَّسُولُ إِذْ دَعَا بِقَوْلِهِ خَيْرًا وَكُلًّا جَمَعَا
 فَبَيَّنَ الْفَضْلَ لَدَى الْجَمِيعِ وَفَضْلَ السِّرِّ عَلَى الْمَجْمُوعِ

السلمي

عيبها: الاشتغال بتزيين الظواهر، والتخشع من غير خشوع، والتعبد من غير حضور.
 مداواتها: الاشتغال بحفظ الأسرار. لترى بَيْنَ أنوار باطنه أفعال ظاهرة؛ فيكون مزينا من
 غير زينة. مهابا من غير تبع. عزيزا من غير عشيرة؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:
 "من أصلح سريره أصلح الله علانيته".

بِفِعْلِهِ وَقَضْدِهِ الْأَغْرَاضَا
وَلَحْظِهِ فِي شَأْنِهِ أَخْوَالَهُ
وَفَقْدِهِ شُهُودَهُ لِقُرْبِهِ
وَفِي شُهُودِ الْحُكْمِ وَالتَّقْدِيرِ
لَكِنَّهُ عُيُودُهُ لَنَا رَسْمٌ
طُولِبَ بِالَّذِي يَكُونُ مِنْ عِلَلٍ
إِذْ فِعْلُهُ يَكُونُ لِلنَّدَامَةِ
فَكَيْفَ يَطْلُبُ الْجَزَا عَنْ هَبْتِهِ

مِنْ عَيْبِهَا طَلَبُهُ الْأَعْوَاضَا⁽¹⁾
وَذَاكَ مِنْ رُؤْيَيْهِ أَعْمَالَهُ
وَأَضْلُهُ مِنْ غَفْلَةٍ عَنْ رَبِّهِ
دَوَاؤُهُ فِي رُؤْيَاةِ التَّقْصِيرِ
إِذْ لَا يَزِيدُ عَمَلٌ فِيمَا قَسَمَ
وَمَنْ يَرِدُ أَخَذَ الْجَزَاءَ بِالْعَمَلِ
يَكْفِي الْأَرِيبُ غُنْمُهُ السَّلَامَةُ
وَأِنَّمَا أَعْمَالُنَا مِنْ مَنَّتِهِ

السلمي

عيبها: طلب العوض على أعماله.
مداواتها: رؤية تقصيره في عمله وقلة إخلاصه؛ فإن الكيس في عمله من أعرض عن
طلب الأعواض أدبا وتورعا منه. معرضا عالما بأن الذي قدر له من الله يأتيه دنيا وآخرة.

(1) الأعواض: أي العوض، والمقابل.

مِنْ عَيْبِهَا نَفْيُ الْتِدَادِ بِالْعَمَلِ
 وَذَاكَ مِنْ خِيَانَةِ السَّرِيرَةِ
 دَوَاؤُهُ فِي خِدْمَةِ الْأَخْيَارِ
 وَخِفَّةِ الْبَطْنِ وَأَكْلِهِ الْحَلَالِ
 لَا سَيِّمًا فِي ظُلْمَةِ الْأَشْحَارِ
 أَوْ فَقْدُهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ حَصْلُ
 وَسُقْمِ الْفُؤَادِ بِالْجَرِيرَةِ⁽¹⁾
 وَالشُّغْلِ بِالتَّقْوَى وَبِالْأَذْكَارِ
 ثُمَّ تَضَرُّعُ لِرَبِّ وَابْتِهَالُ
 وَفِي خُلُوكٍ عَنِ الْأَغْيَارِ

السلمي

عيبيها: فقدان لذة الطاعة؛ وذلك من سقم القلب، وخيانة السر.
 دواؤها: أكل الحلال، ومداومة الذكر، وخدمة الصالحين، والدنو منهم والتضرع إلى الله
 تعالى في ذلك؛ ليمن الله تعالى على قلبه بالصحة؛ بزوال ظلمات السقام فيجد إدراك لذة
 العبادة (الطاعة).

(1) السقم: المرض - الجريرة: ما يقترف من ذنب.

مِنْ عَيْبِهَا طَلَبُ الرِّيَاسَةِ
 وَالْكِبَرِ وَالْفَخْرِ مَعَ التَّبَاهِي
 وَذَاكَ مِنْ إِثَارِهِ دُنْيَاهُ
 لِأَنَّ ذِكْرَ الرَّبِّ يُنْسِي النَّفْسَ
 وَالْأَنْسَ بِالدُّنْيَا وَذِكْرُ النَّفْسِ
 دَوَاؤُهُ فِي رُؤْيَاةِ التَّقْصِيرِ
 فِي جَعْلِهِ وَعَاءَ عِلْمٍ وَعَمَلٍ
 ثُمَّ التَّوَاضُّعُ وَالْانْكِسَارُ
 قَالَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ
 مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ يُضَاهِي الْفُقَهَا
 أَوْ لَنْيْلَ الْجَاهِ عِنْدَ النَّاسِ
 وَكُلُّ عِلْمٍ لَمْ يَزِدْ مِنَ الْهُدَى
 لَذَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْعَلِيَّةِ
 وَجَاءَ مَعْنَى فِي الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ
 وَعُلَمَاءُ السُّوءِ فِي الْأَخْبَارِ

بِالْعِلْمِ وَالْجَاهِ وَالسِّيَاسَةِ
 لِجِنْسِهِ وَقَضْدِهِ غَيْرَ اللَّهِ
 نَعَمْ وَمِنْ نِسْيَانِهِ مَوْلَاهُ
 فَلَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ فِيهَا أَنْسَا
 لِلرَّبِّ يُنْسِي وَالْقُلُوبَ يُقْسِي
 وَشُكْرِهِ لِلْمَلِكِ الْقَدِيرِ
 وَخَوْفِهِ مِنْ سَلْبِهِ بِمَا فَعَلَ
 وَالتَّضَحُّعُ وَالْإِشْفَاقُ وَالْإِبْرَارُ
 قَوْلًا صَحِيحًا طَيِّبًا إِنْذَارُ
 بِعِلْمِهِ أَوْ لِيُمَارِيَ الشُّفَهَا
 بَاءً بِنَارٍ فَهُوَ ذُو إِفْلَاسٍ
 صَاحِبُهُ مِنْ رَبِّهِ قَدْ بَعُدَا
 مَنْ زَادَ عِلْمًا فَلْيَزِدْ فِي الْخَشْيَةِ
 مَنْ يَخْشَى رَبِّي ذَاكَ عَبْدٌ قَدْ عُلِمَ⁽¹⁾
 أَوَّلُ مَنْ يَضِلُّ سَعِيرَ النَّارِ

(1) يشير في ذلك إلى قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله تعالى: (ألا ياعباد فاتقون).

السلمي

ومن عيوبها: طلب الرياسة بالعلم، والتكبر، والافتخار به، والمباهاة فيه على أبناء جنسه.

ومداواتها: رؤية منة الله تعالى عليه أن جعله وعاء لأحكامه، ورؤية تقصير شكره في نعمة الله تعالى عليه بالعلم والحكمة، والتزام التواضع، والانكسار، والشفقة على الخلق، والنصيحة لهم؛ فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من طلب العلم؛ ليباهي به العلماء؛ أو يماري به السفهاء؛ أو ليصرف به وجوه الناس إليه؛ فليتبوأ مقعده من النار"؛ ولذلك قال السلف: "من ازداد علما فليزدد خشية"؛ فإن الله تعالى يقول: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، وقال رجل للشعبي: "أيها العالم من يخشى الله تعالى؟ قال: إنما العالم من يخشى الله تعالى".

مِنْ عَيْبِهَا الْكَسْلُ وَالتَّوَانِي
 بِهِ تَقْوَى حَظُّهَا وَلَحْظُهَا
 لِكُلِّ خَيْرٍ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ
 دَوَاؤُهَا إِضْعَافُهَا بِالْجُوعِ
 فِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى الْمَعْظَمِ
 إِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ
 وَالنَّفْسِ إِنْ أَهْمَلَتْهَا لَا تُفْلِحْ
 فَاخْتَلْ عَلَى النَّفْسِ فَرْبَ حِيلَةٍ
 وَأَضِلْ ذَاكَ شَبْعُ الْأُبْدَانِ⁽¹⁾
 فَتَشْرُكْ الْقَلْبَ وَيَبْذُو رَفْضُهَا
 وَكُلَّ مَا يَطْلُبُ فِي الطَّرِيقَةِ
 وَشُغْلُهَا مِنْ غَيْرِ مَا هُجُوعِ
 الْبَطْنُ شَرُّ مَا مَلَأَهُ آدَمُ⁽²⁾
 وَلِلنَّفْسِ الثُّلُثُ وَلِلْمَاءِ التَّمَامُ
 وَإِنْ تَزِدْ فِي ضِيقِهَا قَدْ تَجْمَحُ⁽³⁾
 أَنْفَعُ فِي النُّصْرَةِ مِنْ قَبِيلَةٍ

السلمي

ومن عيوبها: الكسل؛ وهو ميراث الشبع؛ فإن النفس إذا شبعت قويت، وإذا قويت أخذت حظها؛ فإذا أخذت حظها غلبت القلب لوصولها إلى حظها.
 ومداواتها: التجويع؛ فإنها إذا جاعت عدت حظها، وإذا عدت حظها ضعفت، وإذا ضعفت غلب عليها القلب؛ وإذا غلب عليها القلب حملها على الطاعة، وأسقط عنها الكسل؛ وفي ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإذا كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس".

- (1) قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "كثرة الشبع تذهب الفطنة وتفسد الذهن وتعين على المعاصي، والجوع المفرط مفسد للفكرة مقو للخيلات مفسد للقلب". وقال أيضاً: "الشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام".
- (2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. حسب لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث للماء، وثلث للنفس" أخرجه الترمذي في كتاب الزهد.
- (3) ضرورة سياسة النفس بالتوسط في التكاليف الشرعية.

مِنْ عَيْبِهَا إِكْثَارُهُ مِنَ الْكَلَامِ وَذَاكَ مِنْ حُبِّ الْغُلُوِّ فِي الْأَنَامِ⁽¹⁾
 وَالْجَهْلُ بِالْوَاجِبِ فِي التَّحَدُّثِ⁽²⁾ وَمُوجِبَاتِ الْمُقْتِ وَالتَّشْتِ
 دَوَاؤُهُ تَفْضِيلُهُ اسْتِمَاعَهُ عَلَى كَلَامِهِ لِأَجْلِ الطَّاعَةِ
 إِذْ فِي حَدِيثِ الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ أَضْلُ الْبَلَاءِ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
 وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّيْرَانِ شَيْءٌ سِوَى حَصَائِدِ اللِّسَانِ⁽³⁾

(1) ورد النهي عن اللغو في كثير من الآيات القرآنية منها:

قوله تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون) المومنون الآية 3.

قوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) القصص الآية 55.

قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الفرقان الآية 63.

قوله تعالى: (وإذا مروا باللغو مروا كراما) الفرقان الآية 72.

قوله تعالى: (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الزمر الآية 18.

ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الموضوع: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" أخرجه الدارقطني.

(2) الواجب في التحدث: أن تستمع لمن يحدثك، وأن تجيب عن سؤاله بقدر المطلوب، والحال، والمقام.

(3) قال صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد أنفُسهم" أخرجه الحاكم في مستدركه، والترمذي في كتاب الإيمان.

قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "من أراد السلامة من آفة لسانه فليكثر من قراءة قل أعوذ برب الناس، وسورة القدر".

وقال: "يستعان على حفظ اللسان بثلاثة أشياء: شغله بالذكر الدائم، والخلوة عن الخلق، وقلة المطعم؛ ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه" النصيحة الكافية ص: 73.

وَقَالَ كُلُّ مَا يَقُولُ ابْنُ آدَمَ فَهُوَ عَلَيْهِ مُوجِبٌ لِلنَّدَمِ
 إِلَّا إِذَا يَأْمُرُ بِالْمَغْرُوفِ أَوْ يَنْتَهَى عَنْ نُكْرٍ وَعَنْ مَأْلُوفٍ
 وَجَامِعُ الْأَمْرِ عَلَى التَّخْرِيرِ فِي قَوْلِهِ لَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ كَثِيرٍ⁽¹⁾
 وَمَا أَتَى فِي شَأْنٍ كُتِبَ الْحَفْظُ لِيَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى الْمُحَافَظَةِ
 إِذْ كُلُّ لَفْظٍ فَلَهُ رَقِيبٌ يَكْتُبُهُ وَهُوَ لَنَا قَرِيبٌ⁽²⁾
 فَلَنَتَحَفَّظْ مِنْ آفَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ ضُرٌّ عَلَى الْإِنْسَانِ
 وَأَضْعَبُ الْأَعْضَا فِي الْمُرَاقَبَةِ عَلَّلَهُ عَلَى الْأَنَامِ عَاقِبَةُ

(1) يقول الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة لم أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما). النساء الآية: 113.

(2) يقول الله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) سورة ق الآية 19. ويقول تعالى: (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) سورة الانفطار الآيات: 10 - 11 - 12

ويقول تعالى: (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) سورة ق الآيات: 18 - 18 - 19.

السلمي

ومن عيوبها: إثارها لكثرة الكلام؛ وإنما يتولد ذلك من شيئين:

* إما لطلب رئاسة يريد أن يرى الناس علمه وفصاحته.

* أو لقلة العلم بما يجب عليه في الكلام.

مداواتها: تحققه بأنه مأخوذ بما يتكلم به، وأنه مكتوب عليه، ومسؤول عنه لأن الله تبارك وتعالى يقول: (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)، ويقول تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، وقال صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"، وقال: "البلاء موكل بالقول"، وقال صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلام ابن آدم كله عليه. إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر"، وهكذا قال تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس).

مِنْ عَيْبِهَا تَجَاوَزُ الْحُدُودَ
 بِزَائِدِ الْمَدْحِ لِمَنْ تَرْضَى بِهِ
 وَذَاكَ مِنْ جَهْلِ بِحَقِّ اللَّهِ
 دَوَاؤُهُ فِي ذَا التَّزَامِ الصِّدْقِ
 فِي حَالَتَيْهِ مَنْ رَضَى وَمِنْ غَضَبِ
 وَعَدِّهِ خَيْرُ الْوَرَى فِي الْمُنْجِيَاتِ
 إِذَا يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ رَبُّنَا
 فَلَا يَنْالُ مَا أَرَادَ أَبَدًا
 وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ اقْتِفَاءِ مَا
 وَقَالَ خَيْرُ مَنْ أَتَى لِلْعَالَمِينَ
 عِنْدَ الرِّضَى وَالْغَضَبِ الْمَوْجُودِ
 وَعَكْسِهِ تَزِيدُ فِي عِتَابِهِ
 وَطَلَبِ الرِّضَى لِغَيْرِ اللَّهِ
 حَتَّى يَصِيرَ مُوْثِرًا لِلْحَقِّ
 إِذْ عَدْلُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ قَدْ وَجَبَ
 وَفِي الْخِصَالِ الْفَاضِلَاتِ الزَّكَايَاتِ
 وَيَسْخَطُ الْخَلْقُ عَلَيْهِ فِي الدُّنَا
 مَعَ أَنَّهُ عَنْ رَبِّهِ قَدْ بَعْدَا
 لَمْ يَكُنْ الْمَرْءُ لَهُ قَدْ عَلِمَا⁽¹⁾
 أَحْثُوا التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ الْمَادِحِينَ

السلمي

عيبيها: أنها إذا رضيت مدحت المرضي عنه فوق الحد، وإذا غضبت ذمته وتجاوزت الحد.

ومداواتها: رياضة النفس على الصدق، والحق حتى لا يتعد في مدح من رضي عنه، ولا في ذم من سخط عليه؛ فالإكثار من ذلك من قلة المبالاة بالأوامر والنواهي؛ والله تعالى يقول: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "احثوا التراب في وجوه المداحين".

(1) يشير إلى قوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

مِنْ عَيْبِهَا أَنْ تَسْتَخِيرَ أَوَّلًا
 وَذَاكَ مِنْ تَهْمَةِ الْمَرْءِ لِرَبِّهِ
 دَوَاؤُهُ بِعِلْمِهِ بِجَهْلِهِ
 إِذْ قَدْ يُحِبُّ مَا يَكُونُ شَرًّا
 فَالْعَبْدُ لَا يَعْلَمُ مَا يَخْتَارُ
 وَرَبُّنَا يَعْلَمُ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ
 فَلْيَسْتَرْخِ مِنْ تَعَبِ التَّدْيِيرِ
 مُفَوَّضًا لِرَبِّهِ وَرَاضِيًا
 وَبَعْدَهَا يَسْخَطُ مَا قَدْ حَصَلَ
 وَبُعْدَهُ عَنْ مُوجِبَاتِ قُرْبِهِ
 بِحَالِهِ وَأَضْلِهِ وَفَضْلِهِ
 وَيَكْرَهُ الْأَمْرَ يَكُونُ خَيْرًا⁽¹⁾
 وَوَضْفُهُ الْعَجْزُ وَالْأَفْتِقَارُ
 وَقَادِرٌ لَدَيْهِ فِي عَجْزٍ لَدَيْهِ
 وَالْهَيْمُ وَالنَّكَدُ وَالتَّكْدِيرُ
 بِمَا قَضَاهُ عَالِيًا وَدَانِيًا

السلمي

عيبها: أنها تستخير الله تعالى في أفعالها. ثم يستخف بما يختار له. ومداواتها: أن تعلم أنه يعلم من الأشياء ظواهرها، والله يعلم بواطنها وحقائقها، وأن حسن اختيار الله تعالى له خير من اختياره لنفسه؛ فما اختار عبد لنفسه إلا كان منوطا ببلاء، فيعلم أنه مدبر لا مدبر، وأن سخطه للمقتضى لا يغير القضا؛ فيلزم نفسه طريق الرضا بالقضا؛ فيستريح من النكر، والغم.

(1) يشير إلى قوله تعالى: (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم... الآية).

مِنْ عَيْبِهَا إِكْثَارُهُ التَّمَنِّي
 إِمَّا لِخَيْرٍ يَزْتَجِي وَضَوْلُهُ
 وَذَاكَ مِنْ خَوْضٍ وَمِنْ تَذْيِيرِ
 دَوَائِهِ تَسْلِيمُهُ لِرَبِّهِ
 إِذْ مَا يَكُنْ مِنْ نَفْسٍ يُبْدِيهِ
 فَإِنْ يَفْوِضْ فِي أَنْبِهَامِ حَالَتِهِ
 وَنَفْسَهُ يُتَعَبُّهَا مَهْمَا سَخَطُ
 قَالَ الرَّسُولُ وَهُوَ خَيْرُ مُخْبِرٍ
 فِيمَا تَمَنَّى وَالَّذِي قَصَدَ لَهُ
 وَجَاءَ نَهْيٍ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ
 وَلِيَقُلِ الْعَبْدُ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ
 وَفَاتِي خَيْرًا لِي وَذَا تَفْوِيضُ

دُونَ تَوْقُفٍ وَلَا تَأْنِي
 أَوْ دَفْعِ شَرٍّ يَخْتَبِشِي حُصُولُهُ
 وَرَفَضِهِ النَّظَرِ لِلتَّقْدِيرِ
 وَعِلْمُهُ فِي حَالِهِ بِقُرْبِهِ
 إِلَّا وَفِيهِ قَدَرٌ يُمَضِيهِ
 نَالَ الَّذِي يَقْضِي مَعَ اسْتِرَاحَتِهِ
 إِذْ يَنْفُذُ الْقَضَاءَ وَهُوَ يَخْتَبِطُ
 إِذَا تَمَنَّى أَحَدًا فَلْيَنْظُرْ
 إِذْ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ مَا كُتِبَ لَهُ
 عِنْدَ نُزُولِ الضَّرِّ خَوْفَ الْفَوْتِ
 حَيَاتِي خَيْرًا وَأَمِتْ إِنْ كَانَتْ
 فِيهِ الدُّعَا وَالصَّمْتُ وَالتَّعْرِیْضُ

السلمي

ومن عيوبها: كثرة التمني؛ والتمني هو الاعتراض على الله تعالى في قضائه وقدره. مداواتها: أن يعلم أنه لا يدري ما يعقبه التمني أيجره إلى خير أم إلى شر؟ إلى ما يرضيه أم إلى ما يسخطه؟ فإذا تيقن إبهام عاقبة تمنيه أسقط عن نفسه ذلك ورجع إلى الرضا، والتسليم؛ فيستريح؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى؛ فإنه لا يدري ما كتب له في أمنيه"، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به؛ وليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي".

مِنْ عَيْبِهَا الْخَوْضُ فِي كُلِّ وادٍ وَالْأَخْذُ فِي الْأَسْبَابِ بِالْمُعْتَادِ⁽¹⁾
 وَذَاكَ مِيرَاثُ فَرَاغٍ لُـبِّهِ وَفَرْعُ دُنْيَاهُ الَّتِي بِقَلْبِهِ
 دَوَاؤُهُ اشْتَغَالُهُ بِالذِّكْرِ وَتَرْكُ مَا لَمْ يَعْنِهِ مِنْ أَمْرِ
 فَحُسْنُ إِسْلَامِ الْفَتَى مِنْهُ وَرَدُ تَرْكُ الَّذِي لَا يَعْنِيهِ فِيمَا قَصَدَ⁽²⁾

السلمي

من عيبيها: الخوض في أسباب الدنيا وحديث النفس.
 مداواتها: الانشغال بالذكر الدائم في كل أوقاته؛ ليشغله ذلك عن ذكر الدنيا، وأهلها،
 والخوض فيما هم فيه، ويعلم أن ذلك مما لا يعنيه؛ فيتركه لأن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

(1) قال زروق: "من وجد كفاية عن الأسباب فالله أغناه؛ وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب اتكالا على الناس؛ وهو قادر على الاكتساب" النصيحة الكافية.
 (2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" أخرجه الدارقطني.

مِنْ عَيْبِهَا إِظْهَارُهُ لِلطَّاعَةِ
 لِفِعْلِهِ مُزَيْنًا إِيَّاهُ
 دَوَاؤُهُ تَعْظِيمُهُ لِرَبِّهِ
 مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ رَأَاهُ وَخَدَهُ
 وَطَلَبُ الْخَلَاصِ بِالْإِخْلَاصِ
 فَلَا يُحِبُّ اللَّهُ قَلْبًا مُشْتَرَكًا
 هُوَ غَنِيٌّ مَا لَهُ شَرِيكٌ
 وَمَنْ يَكُنْ فِي قَضْدِهِ يُشَارِكُ
 كَذَا الَّتِي مَعْنَاهُ فِي الْحَدِيثِ
 وَحُبُّهُ لِرُؤْيَةِ الْجَمَاعَةِ⁽¹⁾
 لِأَجْلِ تَعْظِيمِ الَّذِي يَرَاهُ
 إِذْ فَقَدْ ذَاكَ هُوَ أَضْلُ عَيْبِهِ
 وَنَظَرِ الْغَيْرِ اسْتِحْقَاقُ بُعْدِهِ
 إِذْ مَا لَهُ عَنْ ذَاكَ مِنْ مَنَاصٍ
 كَذَا لَا يُحِبُّ فِعْلًا مُشْتَرَكًا
 فَلَمْ يُجْزِهِ فِي قَضْدِهِ التَّشْرِيكُ
 تَرَكَّهُ وَذَلِكَ الْمُشَارِكُ
 وَصَحَّ نَقْلًا لِذَوِي التَّثْبِيثِ

السلمي

عيوبها: إظهار طاعتها، ومحبتها أن يعلم الناس ذلك منه ويرووه، والتزين بها عندهم. ومداواتها: أن يعلم أنه ليس للخلق ضره ولا نفعه، ويجتهد في مخالفة نفسه بالإخلاص في أعماله؛ ليزيل عنه هذا العيب؛ فإن الله تعالى يقول: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)، وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل: "من عمل عملا أشرك فيه غيري؛ فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك".

(1) من عيوب النفس الرياء وحب السمعة بين الناس. حيث أنه يظهر أمامهم، ويتكلف بينهم ما ليس من خصاله أو أخلاقه، والمفروض أن يطلب الإنسان رضا ربه وليس رضا الخلق.

مِنْ عَيْبِهَا طَمَعُهُ⁽¹⁾ فِي الْخَلْقِ
 وَفِيهِ أَضَلُّ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ
 وَالْجَلْبُ لِلرِّيَاءِ وَالتَّصْنُعِ
 وَفَقْدُهُ حَلَاوَةَ الْأَعْمَالِ
 فَالْعَبْدُ حُرٌّ دَائِمًا مَتَى قَنَعَ
 وَأَضْلَهُ مِنْ شَكِّهِ فِيمَا قَسَمَ
 دَوَاؤُهُ بِالتَّزْكِ وَالْإِعْرَاضِ
 إِمَّا اكْتِفَاءً بِالَّذِي قَدْ قَسَمَا
 مِنْ خُلُقٍ كَرِيمَةٍ رَفِيعَةٍ
 قَدْ اسْتَعَاذَ الْمُصْطَفَى مِنَ الطَّمَعِ
 وَطَمَعُ الْعَبْدِ بغيرِ مَطْمَعٍ
 وَقَالَ بَعْضُ سَلَفِ الْإِسْلَامِ
 فِي طَمَعِ الْمَرْءِ افْتِقَارٌ حَاضِرٌ
 إِنْ طَمَعِ الْغَنِيُّ فَهُوَ مُفْتَقِرٌ
 لِعِزِّ هَذَا وَلِذُلِّ هَذَا
 إِذْ لَيْسَ إِلَّا تَعَبٌ وَخَوْفٌ

وَذَاكَ ضِدٌّ وَرَعَ وَصِدْقٍ
 وَخِدْمَةٌ الْعَبِيدِ وَالْأَخْرَارِ
 وَخَيْبَةٌ تُلْحَقُهُ فِي الْمَطْمَعِ
 وَرَفُضُهُ لِلْهِمَمِ الْعَوَالِ
 وَالْحُرُّ عَبْدٌ لِلَّذِي فِيهِ طَمَعٌ
 وَفَقْدُهُ الرِّضَى لِمَا بِهِ رَسَمٌ
 عَنْ كُلِّ وَجْهِ جَرٍّ لِلْأَعْرَاضِ
 أَوْ رَفْعُ هِمَّةٍ لِمَا قَدْ وَسَمَا
 وَتَرْكُ مَا يَخْشَاهُ مِنْ شَنِيعَةٍ
 أَغْنِي الَّذِي يَهْدِي بِهِ عَلَى طَبَعٍ
 لِأَنَّهُ ذُلٌّ وَخِزْيٌ فَاسْمَعِ
 قَوْلًا صَحِيحًا سَابَغَ الْأَحْكَامِ
 مُشَاهِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ ظَاهِرٌ
 أَوْ قَنَعَ الْفَقِيرُ فَهُوَ مُتَّصِرٌ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنِ الْغِنَى مَلَاذًا
 وَآفَةً وَذِلَّةً وَحَافِيًا

(1) الطمع مرض خطير يفقد صاحبه خصوصياته الإنسانية، ويعرضه للهوان والمذلة والصغار لأنه يدفعه للتملق وهدر كرامته.

السلمي

ومن عيبتها: الطمع. ومداواتها: أن يعلم أن طمعه يدخله في الرياء، وينسيه حلاوة العبادة، ويصيره عبدا للعبيد بعد أن خلقه الله تعالى حرا من عبوديتهم. وتعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من الطمع فقال: "أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع في غير مطمع"؛ وهو الطمع الذي يطبع على قلبه ليرغبه في الدنيا، ويزهده في الآخرة. وروي عن بعض السلف أنه قال: "الطمع هو الفقر الحاضر، والغني الجامع فقير، والفقر المتعفف غني، والطمع هو الذي يقطع الرقاب ويسود الوجوه ويميت القلوب". واستشهدوا:

أَتَطْمَعُ فِي لَيْلَى وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تُقَطِّعُ أَغْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

مِنْ عَيْبِهَا الْحِرْصُ مَعَ التَّكَاثُرِ وَالْجَمْعُ وَالْمَنْعُ مَعَ التَّهَاتُرِ⁽¹⁾
 وَذَاكَ مِنْ جَهْلِ بِحَالِ الدُّنْيَا وَمَا إِلَيْهِ أَمْرُهَا فِي الْأَشْيَا
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِأَنْ جَمَعَهُ يُبْعِدُهُ عَمَّا يُفِيدُ نَهْجَهُ
 مَعَ أَنَّ الْمُعِدَّ لِلزَّوَالِ وَالتَّزَكُّ وَالنَّقْلُ وَالْاِزْتِحَالِ
 لَا خَيْرَ فِيمَا آلَ لِلْفَنَاءِ مَعَ كَثْرَةِ الشَّقَاءِ وَالْعَنَاءِ
 يَا عَجَباً لِمُوثِرِ دُنْيَاهُ وَتَزَكِيهِ إِثَارَهُ أُخْرَاهُ
 مَعَ عِلْمِهِ بِأَنْ هَذِي فَانِيَهُ وَهَذِهِ دَائِمَةٌ وَبَاقِيَهُ

السلمي

عيوبها: حرصها على عمارة الدنيا، والتكثير منها.
 ومداواتها: أن يعلم أن الدنيا ليست له دار قرار، وأن الآخرة هي دار القرار؛ والعاقل من
 يعمل لدار قراره. لا لمراحل سفره؛ فإن المراحل تنقطع بالسفر لا بالمقام؛ فيعمل لما إليه
 قراره قال الله تعالى: (وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون).

(1) التهاتر: التكالب على الدنيا.

يقول الله تعالى: (ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر) الآيتان 1 و 2 من سورة التكاثر.

وَأَخَذَهُ بِكُلِّ أَمْرٍ يُعْجِبُهُ	مَنْ عَيْبَهَا اسْتَحْسَانُ مَا يَرْتَكِبُهُ
حَتَّى يَرَى لِفَعْلِهِ يُوَالِفُهُ	وَنَقْدَهُ لِفَعْلٍ مَنْ يُخَالِفُهُ
وَمِنْ شُهُودِ نَفْسِهِ وَعُجْبِهِ	وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَنْ رَبِّهِ
وَحُسْنُ ظَنِّهِ بِكُلِّ جَنْسِهِ	دَوَاؤُهُ اتِّهَامُهُ لِنَفْسِهِ
وَذِكْرُ ذَنْبِهِ الَّذِي لَا يُحْصَى	وَرُؤْيَا الْحَالِ بِعَيْنِ النَّقْصِ

السلمي

ومن عيوبها: استحسان ما تركبه من الأمور، واستقباح فعل ما يخالفها.
مداواتها: اتهام النفس؛ لأنها أمارة بالسوء، وحسن الظن بالخلق لانبهام العواقب.

مِنْ عَيْبِهِ إِكْرَامُهُ لَجَسَدِهِ وَذَاكَ مِنْ نِسْيَانِهِ لِرْمْسِهِ
 دَوَاؤُهُ بِقَلْبَةِ الْمُسْبَالَةِ بِشَأْنِهِ حِسًّا بِكُلِّ حَالَةٍ
 فَابْنِ نُجَيْدٍ قَالَ مَنْ قَدْ كَرُمْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ فِدْيَتُهُ أَذْتُ⁽¹⁾
 وَمَنْ تَهَنْ عَلَيْهِ ذَاكَ الْمُكْرَمُ فِي دِينِهِ إِذْ بِصَلَاحٍ يُوسَمُ

السلمي

عيوبها: الشفقة على النفس، والقيام بتعهداتها.
 مداواتها: الإعراض عنها، وقلة الاشتغال بها؛ كذلك سمعت جدي يقول: من كرمته
 عليه نفسه هان عليه دينه.

(1) ابن نجيد: هو أبو عمر إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي جد الشيخ أبي عبد الرحمان السلمي. لقي الجنيد. توفي بمكة سنة 366 هجرية.
 من أقواله:

- " من كرمته عليه نفسه هان عليه دينه".
- " من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها".
- " لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء، وأحواله كلها عنده دعاوى".
- " من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه؛ فقد أظهر جهله".
- " احترم عامة المسلمين، ولا تتصدر في أمر ما أمكنك".
- " وقيل له من أين تتولد الدعاوى؛ فقال من الاغترار، وتشويش الأسرار".

وَذَاكَ أَضَلُّ فِي وُجُودِ نَكْسِهِ	مِنْ عَيْبِهَا انْتِصَارُهُ لِنَفْسِهِ
وَأَنَّهَا مَحَقَّةٌ بِكُلِّ عَارٍ	دَوَاؤُهُ رُؤْيَا بِهَا بِالْأَخِ تِقَارٍ
غَدَّارَةٌ مَكَّارَةٌ مَشُومَةٌ ⁽¹⁾	لِأَنَّهَا ظَلُومَةٌ غَشُومَةٌ
مَشْغُولَةٌ بِاللَّهِوِ وَالْأَبَاطِلِ	تَرَى لَهَا الْحَقَّ بِغَيْرِ الْبَاطِلِ
وَتَطْلُبُ الْأَمْرَ بِغَيْرِ صِدْقٍ	تَرَى لَهَا الْحَقَّ بِغَيْرِ حَقٍّ
لِنَفْسِهِ لَكِنْ لِفَعْلٍ مُجْتَرَمٍ ⁽²⁾	فَلَمْ يَكُنْ خَيْرُ الْأَنَامِ يَنْتَقِمُ

السلمي

ومن عيوبها: الانتقام لها، والخصومة عنها، والغضب لها. ومداواتها: عداوتها وبغضها، ومحبة الدين، والغضب لارتكاب المناهي؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه ما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله؛ فينتقم لله".

(1) مشومة: مشؤومة.

(2) بل كان عليه السلام رضاه في الله، وغضبه في الله.

وَالشُّغْلُ بِالرِّزْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ ⁽¹⁾	مِنْ عَيْبِهَا قُبُولُ مَدْحِ النَّاسِ
عَنْ رَبِّهِ فِي فِعْلِهِ وَحَالَتِهِ	وَذَاكَ مِنْ غُرُورِهِ وَغَفْلَتِهِ
وَتَرْكُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ مُصَاحَبَةٍ	دَوَائِهُ فِي الْأَوَّلِ الْمُرَاقَبَةِ
وِثْقَةٍ بِاللَّهِ فِي سُكُونِ	وَلِلْآخِرِ قُوَّةُ الْيَقِينِ
حِكَايَةٍ هِيَ لَدَيْهِ فَهُمْ ⁽²⁾	قَالَ الْإِمَامُ حَاتِمُ الْأَصَمِ
مَنْ أَيْنَ الْأَكْلُ يَا ضَعِيفَ الْقَوْمِ	يَقُولُ لِي الشَّيْطَانُ كُلَّ يَوْمٍ
أَقُولُ أَكْلِي الْمَوْتُ لَبْسِي الْكَفَنُ	مَنْ أَيْنَ تَلَبَّسَ أَيُّ شَيْءٍ تَسْكُنُ
عِنْدَ ذَوِي الْحَزْمِ وَأَزْبَابِ النَّهْيِ ⁽³⁾	وَمَسْكَنِي الْقَبْرِ وَذَاكَ الْمُتَنَهَى
وَكُلِّ مَا تَعْتَادُ مِنْ إِغْوَاءٍ ⁽⁴⁾	فَلْتَسْتَرِخْ مِنْ تَعَبِ الْإِعْدَاءِ

(1) قال عليه السلام: "أحثوا التراب في وجه المادحين". أخرجه أبو داود في كتاب الأدب. الانشغال بطلب الرزق والانقطاع إليه دون بقية أفعال الطاعات والتكاليف الشرعية قبيح وإلا فإن طلب الرزق أمر مطلوب شرعا.

(2) حاتم الأصم: أبو عبد الرحمان حاتم الأصم من مشايخ خراسان تتلمذ على شقيق البلخي؛ ومن تلامذته الفقيه المجتهد أحمد بن خضريوه البلخي. توفي سنة 237 هجرية.

(3) يشير إلى قول حاتم الأصم: "ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما ذا تأكل؟، وما ذا تلبس؟، وأين تسكن؟، فأقول له: أكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر" الرسالة القشرية ص: 20. - طبقات الصوفية.

ومن أقواله: "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة".

(4) الإعداء: تحريض النفس على المعادة.

السلمي

ومن عيوبها:

* الاهتمام بإكرام الناس له، واشتغاله بإصلاح الظاهر لزينة الناس، وغفلته عن إصلاح الباطن. الذي هو موضع نظر الله عز وجل.

* الاهتمام بالرزق؛ وقد ضمنه الله، وقلة اهتمامها بعمل افترضه الله عليه. مداواتها:

* أن يتيقن أن الخلق لا يكرمونه إلا بمقدار ما جعل الله له في قلوبهم، ويعلم أن باطنه موضع نظر الله؛ فهو أولى بالإصلاح من الظاهر الذي هو موضع نظر الخلق. قال الله تعالى: (إن الله كان عليكم رقيبا).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أعمالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم".

* أن يعلم أن الله الذي خلقه ضمن له كفاية رزقه؛ فقال عز وجل: (الله الذي خلقكم ثم رزقكم) فكما لا يشرك في الخلق لا يشرك في الرزق.

سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن عبيد يقول: يحكى عن حاتم الأصم أنه قال: "ما من صباح إلا والشيطان يقول: ما تأكل اليوم؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر".

مِنْ عَيْبِهَا التَّكْثِيرُ مِنْ ذُنُوبٍ حَتَّى تُثِيرَ قَسْوَةَ الْقُلُوبِ
 دَوَاؤُهُ كَثْرَةُ الْإِسْتِغْفَارِ وَتَوْبَةٌ تَذْهَبُ بِالْإِضْرَارِ⁽¹⁾
 وَضَحْبَةُ الْأَخْيَارِ وَالصِّيَامِ⁽²⁾ ثُمَّ حُضُورِ الذِّكْرِ وَالْقِيَامِ⁽³⁾

(1) لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع جلال قدره وغفران الله تعالى له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، يكثّر من الاستغفار. مجيباً من سأله عن ذلك: "أفلا أكون عبداً شكوراً".

(2) لما كانت المجالسة مجانسة ولما كانت فائدة الصحبة عظيمة فقد اشترط الصوفية صحبة المريد لشيخ عارف بالله ليساعده على التخلص من عيوب نفسه ويدله على الطريق الصحيح لمعرفة ربه؛ ودليلهم على ذلك كون الصحابة لم يستطيعوا أن يتخلصوا من أخلاق الجاهلين إلا بمصاحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب). سورة الجمعة. الآية: 2.

ولقد استدلوا على وجوب اختبار المجلس أو صاحب بأدلة كثيرة منها:
 * قول الله تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدو والآصال يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) سورة الكهف. الآية 28.
 * وقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) سورة التوبة الآية 119.

* وقول الله تعالى: (ويوم يعرض الطالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً). سورة الفرقان الآيات 27 - 28 - 29.
 وقوله صلى الله عليه وسلم:

* "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" رواه أبو داود والترمذي في كتاب الزهد.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

* مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه؛ وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير

فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَبِالْأَسْحَارِ
 وَلَا تُفِيدُ فِيهِ ذِكْرُ الْجَمْعِ
 وَلَا الصِّيَامُ دُونَ صَمْتٍ وَاعْتِزَالِ
 ثُمَّ كَذَلِكَ ضَخْبَةُ الْأَخْيَارِ
 وَقَدْ شَكََا لِلْمُضْطَفَى إِنْسَانُ
 قَالَ أَدْنُهُ لِلذِّكْرِ كَيْ يَزُولَا
 وَقَالَ مَنْ أَدْنَبَ ذَنْبًا نَكْتًا
 فَإِنْ يَثْبُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَسْتَغْفِرُ
 وَإِنْ يَكُنْ فِي غِيَةِ تَمَادَى
 حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ لَيْسَ يَعْرِفُ
 ثُمَّ تَلَا لَهُ إِمَامُ الْعَارِفِينَ
 مِنْ ذِكْرِ رَانَ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ
 لِلذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالْاِسْتِغْفَارِ
 مَا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بِأَهْلِ الْجَمْعِ
 وَلَا الْقِيَامِ دُونَ صَدَقٍ وَابْتِهَالِ
 إِلَّا بِالْاِحْتِرَامِ وَالْإِبْرَارِ
 قَسْوَةَ قَلْبٍ شَانُهُ الْعِضْيَانُ
 مَحْلُهُ وَيَقْتَنِي قَبُولًا
 فِي قَلْبِهِ سَوَادُهُ وَثَبَاتًا
 زَالَ الَّذِي نَكْتَهُ إِذْ يَغْفِرُ
 فَكَكْتَهُ يَزِيدُهُ اشْوَادًا
 النُّكْرَ وَالْمَعْرُوفَ بَلْ يُجَازِفُ
 مَا قَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ
 مُكْتَسَبٌ مِنْ اِرْتِكَابِ الذَّنْبِ⁽¹⁾

إِذَا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُتَنَّةً". رواه البخاري في صحيحه. كتاب الذبائح.

انطلاقاً مما سبق يبقى الحذر مشروطاً وواجباً في اختيار الصاحب، ولما كان الصاحب كالمرآة لصاحبه؛ فعلى الإنسان أن يختار الصاحب المؤمن لأنه ينبهه لعيوب نفسه وأخطائها. ويعلمهم الكتاب). سورة الجمعة. الآية: 2.

(3) الحضور هنا بالمعنيين: الحضور الحسي والحضور المعنوي: أي حضور الذهن والإقبال عليه بمجامع القلب والروح.

(1) يشير إلى قوله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) سورة المطففين الآية 14.

السلمي

ومن عيوبها: كثرة الذنوب، والمخالفات؛ إلى أن يقسى القلب.
ومداواتها: كثرة الاستغفار، والتوبة في كل نفس، ومداومة الصيام، والتهجد بالليل،
وخدمة أهل الخير، ومجالسة الصالحين، وحضور مجالس الذكر؛ فإن رجلا شكى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه؛ فقال: "أدنه من مجالس الذكر"، وقال: "إني
لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة"، وقال: "إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء؛
فإن تاب واستغفر ذهب؛ فإن أذنب ثانيا نكت في قلبه نكتة أخرى إلى أن يصير القلب غشا
لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا". ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون).

مَنْ عَيْبَهَا ذَكَرُ رَقِيقِ الْعِلْمِ
 كَيْ يَسْتَمِلَ أَنْفُسَ الْأَغْمَارِ
 وَذَاكَ مِنْ إِيثارِهِ دُنْيَاهُ
 دَوَاؤُهُ عِلْمُهُ بِوَعظِهِ
 حَتَّى يَكُونَ تَارِكاً دُنْيَاهُ
 قَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمَسِيحَ الْمُزْتَضَى
 حَتَّى تَرَى بِوَعظِهِ مُتَّعِظَهُ
 وَالْمُضْطَفَى فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ
 شِفَاهُهُمْ تُقَرِّضُ بِالنِّيَرَانِ
 أَتَامُرُونَ قَدْ أَتَى فِي الْبَقَرَةِ
 وَالْخَوْضُ فِيهِ بِدَقِيقِ الْفَهْمِ
 مُكْتَسِباً جَاهاً عَلَى اسْتِمْرَارِ
 وَتَرْكِهِ مَا يَزْتَضِي مَوْلَاهُ
 لِنَفْسِهِ بِقَوْلِهِ وَلَحْظِهِ
 وَمُؤْثَرِ بِحَالِهِ مَوْلَاهُ
 أَنْ يَنْتَدِي بِنَفْسِهِ إِنْ وَعَظَا
 أَوْ تَزْعَوِي فَتَسْتَحِي مِنَ الْعِظَةِ
 رَأَى الَّذِي قَدْ حَلَّ بِالْخُطْبَاءِ
 لِلْأَمْرِ بِالْبِرِّ بِلَا إِثْيَانِ
 فِي آيَةِ زَاجِرَةٍ مُذَكَّرَةٍ⁽¹⁾

السلمي

ومن عيوبها حبها للكلام على الناس، والخوض في رقائق العلوم؛ ليصرف بحسن كلامه وجوه الناس إليه.
 مداواتها: العمل بما يعلم، وأن يعظ الناس بفعله لا بقوله؛ كما روي أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: "إذا أردت أن تعظ الناس، فعظ نفسك؛ فإذا اتعظت، وإلا استحبي مني"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مررت ليلة الإسراء بقوم تقرض شفاههم بمقارض من نار؛ فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الخطباء من أمتك يامرون الناس، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون".

(1) يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة منكرًا على بني إسرائيل: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) الآية 44.
 قال داود الطائي: "جالست الناس سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمر بي؛ وأنا إلى الكلام فيه أشد نزاعًا من العطشان إلى الماء البارد".

مِنْ عَيْنِهَا سُورُورُهَا وَالْفَرْحُ وَطَلَبُهَا الرَّاحَةُ وَهِيَ تَمَرُحُ
 وَذَاكَ مِنْ رِضَاهُ عَنْهَا أَبَدًا وَعَدَمُ اتِّهَامِهِ فِيمَا بَدَا
 دَوَاؤُهُ اسْتِيقَاطُهُ مِنْ غَفْلَتِهِ لِأَنَّ ذَاكَ هُوَ أَضْلُ عِلَّتِهِ
 وَذِكْرُهُ تَقْصِيرُهُ وَزَلَلُهُ وَكُلُّ نَهْيٍ كَانَ فِيهِ عَمَلُهُ
 وَذِكْرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ آتٍ مَنْ أَمَرَ أَخْرَاهُ بِلَا انْفِلَاتٍ
 قَالَ الرَّسُولُ هَذَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ طُولُ الزَّمَنِ⁽¹⁾
 وَالسِّجْنُ فَاغْلَمَ لَيْسَ فِيهِ فَرْحُ وَإِنَّمَا فِيهِ الْأَذَى وَالْتَرَحُ
 وَقَالَ دَاوُدُ الْإِمَامُ الطَّائِي كَلِمَةً عَظِيمَةً الْأَنْبَاءُ⁽²⁾
 قَطَعُ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ أَبَدًا بِذِكْرِهِمْ إِحْدَى الْخُلُودَيْنِ غَدَا
 وَقَالَ بَشْرُ اللَّذِي قَدْ سَأَلَهُ مَا لَكَ مَهْمُومًا جَوَابًا أَجْمَلَهُ⁽³⁾

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"

(2) داود الطائي: هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي. سمع الحديث واشتغل بالفقه حيث كان يجالس الإمام أبا حنيفة. ثم تزهّد بعد ذلك؛ فأصبح كبير الشأن؛ ومن شدة زهده أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فأنفقها في عشرين سنة. توفي بالكوفة سنة 165 هجرية.

من أقواله:

- " لا عبادة لمن لا مروءة له".

- " إياكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب إلى البلاد البعيدة".

قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني؛ فقال: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفر من الناس كفرارك من الأسد.

(3) بشر الحافي: هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي أحد رجال الطريقة ومعدن الحقيقة. أصله من مرو، وسكن بغداد. صحب الفضيل بن عياض. مناقبه كثيرة أفرد بها ابن الجوزي بالتأليف في كتابه المنتظم. توفي سنة 227 هجرية.

لَأَتِي فِي خَالَتِي مَطْلُوبٌ وَذَا جَوَابٍ جَامِعٌ مُصِيبٌ

السلمي

ومن عيوبها: سرورها، وفرحها، وطلبها الراحة؛ وتلك من نتائج الغفلة. ومداواتها: التيقظ لما بيّن يديها، وعلمها بتقصيرها فيما أمر به، وارتكابها ما نهى عنه، وأن هذه الدار له سجن لا سرور، ولا راحة في السجن؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر"؛ فيجب أن يكون عيشه فيها عيش المسجونين لا عيش المستروحين، وحكي عن داود الطائي أنه قال: "قطع نياط قلوب العارفين أحد الخلودين"، وقال رجل لبشر الحافي: "مالي أراك مهموما؟ قال: لأني مَطْلُوبه".

من أقواله:

- " لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس، ويطلعوا على صفات كماله".
- " يا طالب العلم إنما أنت متلذذ متفكه بالعلم تسمع وتحكي لا غير؛ ولو علمت بما علمت لتجرعت مرارة العلم. ويحك إنما يرا بالعلم العمل".

مِنْ عَيْبِهِ إِتْبَاعُهُ هَوَاهَا	وَسَعْيُهُ لِمَا بِهِ رِضَاهَا
وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِهَا وَبِالْمَالِ	وَأَضْلُهُ إِهْمَالُهَا بِكُلِّ حَالٍ
دَوَاؤُهُ إِيثارُهُ مَوْلَاهُ	وَشُغْلُهُ بِكُلِّ مَا يَرْضَاهُ
وَتُهْمَةُ النَّفْسِ عَلَى الدَّوَامِ	وَقَهْرُهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ
لَأَنَّهَا أَهْمَارَةٌ ذَاتُ هَوَى	مُوثِرَةٌ لِكُلِّ غَيْرٍ وَسَوَى ⁽¹⁾
وَقَدْ رُويَ عَمَّنْ عُرِفَ بِالْقَارِ	نَحْتُ الْجِبَالِ قَالَ بِالْأَظْفَارِ
أَيَسَّرُ مِنْ خِلَافِهَا هَوَاهَا	مَهْمَا يَكُنْ قَدْ حَلَّ فِي قَوَاهَا
أَفْرَأَيْتَ قَدْ أَتَى فِي الْجَائِيَةِ	إِشَارَةً لِمَا ذَكَّرْنَا كَافِيَةَ ⁽²⁾
فَلْتَعْتَصِمَ بِاللَّهِ مِنْ هَوَاكََا	وَلْتَعْتَصِمَ مِنْ شَرِّ مَا اغْتَرَاكََا

السلمي

ومن عيوبها: اتباعها هواها، وموافقة رضاها، وارتكاب مراداتها. ومداداتها: ما أمر الله به من قوله تعالى: (ونهي النفس عن الهوى)، وقوله: "(إن النفس لأماراة بالسوء)، وما روى عن الداري أنه قال: "لنحت الجبال بالأظافر أهون من زوال الهوى إذا تمكن من النفس".

(1) يقول الله تعالى: (إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي)

(2) يقول الله تعالى: (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) سورة الجاثية الآية 23.

مِنْ عَيْبِهَا الْإِيثَارُ لِلْمُعَاشِرَةِ
 وَذَاكَ مِنْ أَنْسِ بِهِذَا الْعَالَمِ
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الصَّاحِبَ
 فَقَدْ قَالَ جَبْرِيلُ لِخَيْرِ الْمُرْسَلِينَ
 عِشْ الَّذِي شِئْتَ فَأَنْتَ مَيِّتٌ
 وَاعْمَلْ بِمَا شِئْتَ بِهِ تُجَازَى
 قَالَ الْحَكِيمُ حِكْمَةً مُضْدَاقَةً
 كُلَّ عَدُوٍّ غَيْرَ مَنْ صَفَيْتَا
 وَالْخُلْطَةَ التَّخْلِيطُ مَنَا فِيهَا
 فَلْيَقْتَصِدْ فِي صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ
 وَصُحْبَةُ الْأَقْرَانِ وَالْمُظَاهَرَةُ
 وَفَقْدُ ذِكْرِ الْفِرَاقِ وَاللَّازِمِ
 مُفَارِقُ وَزَايِلُ وَذَاهِبُ
 ثَلَاثَةٌ لِكُلِّ لُبٍّ يَسْتَتِينُ
 وَحِبٌّ مَنْ شِئْتَ فَلَيْسَ يَثْبُتُ⁽¹⁾
 إِذْ كُلُّ شَخْصٍ فِعْلُهُ يُجَازَى
 فِي الْمَالِ وَالْخُلْطَةِ وَالصَّدَاقَةِ
 وَالْمَالُ خُسْرٌ غَيْرَ مَا وَاسَيْتَا
 مَا لَمْ تَكُنْ مُدَارِيًا سَفِيهَا
 وَلِيُخْتَرِزْ مِنْ خُلْطَةِ الْأَشْرَارِ

السلمي

ومن عيوبها: ميلها إلى معاشرة الأقران، وصحبة الإخوان.
 ومداواتها: أن يعلم أن الصاحب له مفارق، والمعاشرة منقطعة كما روي عن النبي
 صلى الله عليه وسلم. قال له جبريل عليه السلام: "عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من
 شئت؛ فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به".
 وقال أبو القاسم الحكيم: "الصدقة عداوة إلا ما صافيت، وجمع المال حسرة إلا ما
 واسيت، والمخالطة تخليط إلا ما داويت".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "يا بن آدم عش ما شئت فإنك ميت...".

وَرُؤْيَا الْأَعْمَالِ مِنْ بِضَاعَتِهِ	مِنْ عَيْبِهَا اسْتِيْنَاسُهُ بِطَاعَتِهِ
وَعَدَمَ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّرِيرَةِ	وَذَاكَ مِنْ فُقْدَانِهِ الْبَصِيرَةِ
وَذِكْرُ مَا ارْتَكَبَهُ مِنْ زَلَلَةٍ	دَوَاؤُهُ نَظَرُهُ لِعِلَلِهِ
فَلَا يُعَوَّلُ دَائِمًا عَلَيْهِ	حَتَّى يَرَى اخْتِقَارَ مَا لَدَيْهِ
وَلِيَسْتَغْلِ بِشُكْرِ مَا أَوْلَاهُ	وَلِيَتَنَظَّرَ التَّوْفِيقَ مِنْ مَوْلَاهُ
وَيَكْتَسِبَ مِنْ نَفْسِهِ إِغْرَاضًا	وَيَتْرِكَ الْأَغْوَاضَ وَالْأَغْرَاضَا

السلمي

ومن عيوبها: أنسها بطاعتها، ورؤية استحسانها.
ومداواتها: أن تعلم أفعالها؛ وإن أخلصتها؛ فهي معلومة بأن أفعالها لا تخلو من العلل،
ويعمل في إسقاط رؤية استحسانه من أفعالها.

مِنْ عَيْبِهَا تَمْكِينُهَا مِنَ الْهَوَى
 وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ وَهَفْوَتِهِ
 دَوَاؤُهُ فِي مَنَعِهَا مُرَادَهَا
 وَأَخَذَهَا بِالْحَزْمِ وَالْإِكْرَاهِ
 قَالَ أَبُو حَفْصٍ هُوَ الْحَدَّادُ
 مَهْمَا دَعَتْ لِلْأَمْرِ خُذْ خِلَافَهُ
 حَتَّى تَعُوقَ الْعَبْدَ فِيمَا قَدْ نَوَى
 وَفَقْدِهِ اسْتِيقَاضَهُ مِنْ حَالَتِهِ
 وَتَرْكِهِ لِمَا بِهِ اسْتِغْدَاؤُهَا
 مَعَ اجْتِنَابِ جُمْلَةِ الْمَلَاهِ
 كَلِمَةً لِمِثْلِنَا تُرَادُ⁽¹⁾
 لِأَنَّهَا مَوْضِعُ كُلِّ آفَةٍ

السلمي

ومن عيوبها: إمامتها النفس باتباع الهوى والشهوات؛ فإن النفس إذا مكنت من ذلك ماتت عن الطاعات والموافقات.
 ومداواتها: منعها من مرادها، وحملها على المكاره، ومخالفتها فيما تطلب؛ فإن ذلك الذي يميته عنها شهواتها.
 قيل لأبي حفص: "بم يستجلب صلاح النفس؟ قال: "مخالفتها لأنها موضع كل آفة".

(1) أبو حفص الحداد: هو أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد أحد أئمة وسادات الصوفية؛ فهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور كما قال السلمي. ولد بقرية "كورد أباد" بضاحية مدينة نيسابور على طريق بخارى. توفي سنة 264 هجرية على الصحيح كما قال السلمي.
 من أقواله:

- "إذا رأيت المريد يحب السماع؛ فاعلم أن فيه بقية من البطالة".
- "حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن".
- "من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره؛ فلا تعده في ديوان الرجال".

وَعَفْلَةٍ عَمَّا بِهَا مِنْ بَاسٍ	مِنْ عَيْبِهَا الْأَمْنُ مِنَ الْوَسْوَاسِ
وَذَاكَ مِنْ عَلَامَةِ الشَّقَاءِ	إِذْ أَخَذَهُ بِهِ بِلَا انْتِهَاءِ
كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ	دَوَائُهِ بِصِحَّةِ الْإِيْمَانِ
مِنْ الضَّلَالِ مُؤْمِنًا تَوَكَّلَا	إِذْ مَنَعَ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ذُو الْعُلَى
شَيْطَانَهُ بِشِرْكِهِ فَلَذَلَا	وَجَعَلَ الْعَمَى لِمَنْ تَوَلَّى
مَعَ ظَنِّهِ عِبَادَةَ الرَّحْمَانِ	وَصَارَ فِي عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ
مُجَانِبًا لِجُمْلَةِ الْأَذْنَانِ	فَلْتَعَصِمَ بِاللَّهِ مِنْ وَسْوَاسِ

السلمي

ومن عيوبها: أن تأمن من وسوسة الشيطان ومكره.
ومداواتها: تصحيح العبودية بشروطه، والتضرع إلى الله في أن يمن عليه بذلك؛ لأن الله تعالى يقول: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان).

مِنْ الصَّلَاحِ الظَّاهِرِ الْمَوْضُوعِ	مِنْ عَيْبِهَا الْإِظْهَارُ لِلْخُشُوعِ
صَاحِبُهُ لَيْسَ لَهُ خَلَقٌ	دُونَ تَحَقُّقٍ وَذَا نَفَاقٌ
وَتَرْكُهُ لِجُمْلَةِ الْمَعَاصِ	دَوَائُهُ فِي الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ
كَالْبَيْسِ لِثَوْبٍ زُورٍ يَشْرِكُ ⁽¹⁾	إِذْ مَنْ تَشَبَّهَ بِمَا لَا يَمْلِكُ
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ كُنْتَ عَبْدًا صَادِقٌ	جَاءَ بِمَعْنَاهُ الرَّسُولُ الصَّادِقُ

السلمي

ومن عيوبها: الترسم برسم الصلاح من غير مطالبة القلب بالإخلاص فيما ترسم به من صلاح.
ومداواتها: ترك الخشوع الظاهر إلا بقدر ما يرى من خشوع الباطن في قلبه وسره⁽²⁾؛
لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "المتشبع بما لم يعط؛ كلابس ثوب زور".

(1) المتشبه: الذي ينسب لنفسه صفة ليست فيه. - يشرك: يخلق ويبلى.

(2) لأن الله يمهّل ولا يهمل.

مِنْ عَيْبِهَا قِلَّةُ الْإِعْتِبَارِ
 وَذَا مِنْ اغْتِرَارِهِ بِحِلْمِهِ
 دَوَاؤُهُ خَشْيَتُهُ لِـرَبِّهِ
 وَأَنْ يَرَى تَأْخِيرَهُ إِمْهَالُ
 لَا بُدَّ مِنْ سُؤَالِهِ فِي الْحَافِرَةِ
 فَإِنْ يَكُنْ بِذَنْبِهِ يُجَازَى
 فَلْيَخَفِ الْعَبْدُ قِيَامَ الْعَدْلِ
 إِذْ لَا صَغِيرَةَ إِنْ أَتَاهُ الْعَدْلُ
 وَقَالَ شَاعِرٌ مَقَالاً حَسَنًا
 قَدْ غَرَّهَا إِمْهَالُ بَارِيهَا لَهَا
 بِحِلْمٍ مَوْلَانَا عَنِ الْأَوْزَارِ
 وَفَقْدِهِ نَظَرِهِ لِعِلْمِهِ
 لَكَيْ يَنَالَ مِنْ عَظِيمِ قُرْبِهِ
 وَلَا يَظُنُّ أَنَّهْ إِمْهَالُ⁽¹⁾
 وَبَعْدَهُ جَزَاؤُهُ فِي الْآخِرَةِ
 فَوَيْلُهُ وَكُلُّ شَرٍّ حَازَا
 وَلِيَزْتَجِيَ أَيْضًا نَوَالِ الْفَضْلِ
 وَلَا كَبِيرَةَ إِنْ أَتَاكَ الْفَضْلُ⁽²⁾
 لَمَّا ذَكَّرْنَا مُوَضَّحاً مُبَيِّنًا
 لَا تَحْسِبَنَّ إِمْهَالَهَا إِمْهَالَهَا

السلمي

ومن عيوبها: عدم الاعتبار بما يراه من إهمال الله إياه في ذنوبه.
 ومداواتها: دوام الخشية، وأن يعلم أن ذلك الإهمال ليس بإهمال؛ فإن الله تعالى مسائله
 عن ذلك، ومجازيه عن ذلك؛ إلا أن يرحمه الله، فإن الاعتبار لأهل الخشية؛ لأن الله تعالى
 يقول: (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى).

(1) لأن الله يمهّل ولا يهمل.

(2) قال صلى الله عليه وسلم: "لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار"

مِنْ عَيْبِهَا إِفْشَاءُ سِرِّ الصَّاحِبِ وَهِيَ خِيَانَةٌ وَتَرْكُ وَاجِبِ
 وَذَاكَ مِنْ خَسَاسَةٍ وَنَقْصِ فَأَعْلَهُ الْمَذْمُومُ وَهُوَ يَغْصِ
 دَوَاؤُهُ رُجُوعُهُ لِنَفْسِهِ فَمَا يُرْذَلُهَا يُرْذَلُ لِجِنْسِهِ⁽¹⁾
 إِذْ ذَاكَ شَرَطُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَى وَصَحَّ مَعْنَى فِي حَدِيثِ ثُبَّتَا

السلمي

ومن عيوبها: محبتها لإفشاء عيوب إخوانه، وأصحابه.
 ومداواتها: أن يرجع في ذلك إلى نفسه؛ فيحب للناس ما يحب لنفسه، وما روي عن
 النبي صلى الله عليه وسلم: "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وَعَدَمُ ازْدِيَادِهِ بِمَا فَعَلَ	مِنْ عَيْبِهَا رِضَاهُ عَنْهَا فِي الْعَمَلِ
وَتَرْكُهُ لِلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ	وَذَاكَ مِنْ هَمِّهِ الْخَسِيسَةِ
بِالْبَحْثِ وَالْحَرْصِ وَالِاسْتِفَادَةِ	دَوَائُهَا فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ
مَنْ لَمْ يَزِدْ فَهُوَ فِي نُقْصَانٍ	قَالَ عَلِيُّ الْمُزْتَضَى الْعَدْنَانُ
زِيَادَةٌ لَدَيْهِ فِي أَعْمَالِهِ	قَالُوا ثَبَاتُ الْمَرْءِ فِي أَعْمَالِهِ
مُضِيفٌ لِمَا مَضَى مِنْ عَدَدٍ	لِأَنَّ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْغَدِ

السلمي

ومن عيوبها: ترك الاستزادة في نفسه في أفعاله، وأقواله عن الاقتداء بالسلف. ومداواتها: طلب الزيادة، والحرص على الاستفادة؛ فإن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "من لم يكن في زيادة؛ فهو في نقصان".

مِنْ عَيْبِهَا اخْتِقَارُهُ لِلْمُسْلِمِينَ
 وَذَلِكَ مِنْ جَهَالَةٍ بِالنَّفْسِ
 دَوَاؤُهُ الرُّجُوعُ لِلتَّوَاضُّعِ
 مِنْ كُلِّ مَنْ يُدِينُ بِالْإِسْلَامِ
 وَرَبُّنَا نَبِيُّهُ قَدْ أَمَرَهُ
 وَنَظَرَ الرَّسُولُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ
 فَقَالَ مَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ
 إِنْ حَرَّمَ اللَّهُ لَدَيْكَ وَاحِدَهُ
 دَمٌ وَمَالٌ ثُمَّ ظَنَّ سُوءٍ
 وَكُنْ أَبْيَا حَازِمًا يَقْظَانَا
 وَكَبْرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ
 وَسُوءُ فِعْلٍ مُؤْجِبٍ لِلنَّبَسِ
 ثُمَّ اخْتِرَامٌ مُذْنِبٍ وَضَائِعٍ
 كَانَ كَيْرًا وَبِلَا اخْتِرَامٍ
 بِالْعَفْوِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْمُشَاوَرَةِ⁽¹⁾
 مُعْظَمًا لِمَا لَهَا مِنْ حُرْمَةٍ
 عِنْدَ الْإِلَهِ حُرْمَةً وَأَكْرَمُ⁽²⁾
 وَالْمُؤْمِنِينَ بِائْتِنِينَ زَائِدَهُ
 فَانْظُرْ لِهَذَا وَبِخَيْرٍ فَأَتُوا
 وَلَا تَكُنْ فِرْعَوْنَ أَوْ شَيْطَانَا

السلمي

ومن عيوبها: تحقير المسلمين، والترفع، والتكبر عليهم.
 ومدادواتها: الرجوع إلى التواضع، واعتماد حرمة المسلمين؛ فإن الله تعالى قال لنبيه
 صلى الله عليه وسلم: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر).
 فليعلم أن الكبير هو الذي أوقع إبليس فيما أوقعه فيه حتى قال: (أنا خير منه).
 والنبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال: "ما أعظمك، وأعظم حرمتك،
 والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. إن الله حرم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاثا: دمه،
 وماله، وأن يظن به ظن السوء".

- (1) يشير إلى قوله تعالى: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر...) سورة آل عمران من الآية 159؛ فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً بذلك بعد أن خالف الرماة أمر الرسول فغادروا موقعهم، وحل بالمسلمين ما حل بهم من القتل والهزيمة.
- (2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن أعظم حرمة عند الله من البيت الحرام".

مِنْ عَيْبِهَا الْكَسْلُ وَالْقُعُودُ	عَنْ أَمْرِ مَوْلَى فَضْلُهُ مَمْدُودُ
وَذَاكَ مِنْ جَهْلِ بِمَا لَدَيْهِ	وَفَقْدِهِ تَوَجُّهُاً إِلَيْهِ
دَوَاؤُهُ نَظَرُهُ لِـرَبِّهِ	لِتَنْشُطَ النَّفْسُ بِذِكْرِ قُرْبِهِ
فَابْنُ نَجِيدٍ قَالَ قَوْلًا حَسَنًا	مُتَّجِهاً مُحَقِّقاً مُبِينًا ⁽¹⁾
تَهَاوُنُ الْعَمَلِ بِأَمْرِ رَبِّهِ	لِفَقْدِهِ عِزِّفَانَهُ مِنْ قَبْلِهِ

السلمي

ومن عيوبها: الكسل والقعود عن الأوامر الشرعية.
ومداواتها: أن يعلم أنه مأمور من جهة الحق ليحملة ذلك على النشاط.
ولذلك سمعت جدي إسماعيل بن نجيد رحمه الله تعالى يقول: "التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر".

(1) سبقت الترجمة لابن نجيد.

مِنْ عَيْبِهَا إِظْهَارُ فِعْلِ الْخَيْرِ	وَفِعْلُهُ بِعَكْسِهِ فِي السِّرِّ ⁽¹⁾
وَذَاكَ مِنْ غَلَبَةِ الرِّيَاءِ	وَحُبِّهِ لِلْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ
دَوَاؤُهُ إِضْلَاحُ السَّرِيرَةِ	وَتَوْبَةُ يَمْحُوا بِهَا الْجَرِيرَةَ
وَالْعِلْمُ أَنَّ رَبَّهُ يَرَاهُ	فِي كُلِّ حَالٍ دَائِمًا يَنْهَاهُ
قَالَ الرَّسُولُ وَهُوَ قَوْلُ ظَاهِرِ	كَفَى الْفَتَى شَرًّا بِقَلْبٍ فَاجِرِ
وَهُوَ يَرِي خَشْيَةَ رَبِّ النَّاسِ	لِلْخَلْقِ بِالرِّيَاءِ وَالْإِلْبَاسِ
قَالَ أَبُو عُثْمَانَ أَغْنِيَ الْحِيرِي	خُشُوعُ ظَاهِرٍ مَعَ الْفُجُورِ ⁽²⁾
لِبَاطِنٍ يُورِثُهُ الْإِضْرَارَا	فَيَطْمَسُ الْأَضْوَاءَ وَالْأَنْوَارَا

(1) ورد في هذا المعنى آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة منها:

* قوله تعالى: (أَتَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

* قوله تعالى: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ).

(2) أبو عثمان الحيري: هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري

النيسابوري أصله من الري ثم أقام بنيسابور. صحب شاه الكرمانى، وأقام عند أبي حفص الحداد، وصاهره بابنته. كان في وقته أوحـد المشايخ في سيرته؛ فعنه انتشرت طريقة التصوف بنيسابور. توفي سنة 298 هجرية بنيسابور، وقبره معروف بها جوار قبر أستاذه الحداد. من أقواله:

- " أصل العداوة من ثلاثة أشياء: الطمع في المال، وفي إكرام الناس، وفي قبول الناس".

- " الخوف من الله تعالى يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله عز وجل، واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يداوى".

- " من لم تصح إرادته لا تزيده الأيام إلا إدبارا عن الطريق طوعا أو كرها".

- " أنت في سجن ما تبعت مرادك؛ فإذا فوضت وسلمت استرحت".

وَذَاكَ مَخْضُ الْخُبْثِ وَالنِّفَاقِ يَضُرُّ فِي الدِّينِ وَفِي الْأَخْلَاقِ

السلمي

ومن عيوبها: أن تتزين بزي الصالحين، وتعمل عمل أهل الفساد. ومداواتها: ترك زينة الظاهر إلا بعد إصلاح الظاهر، فإن تزين بزينة قوم اجتهد في أن يوافقهم في أخلاقهم وأفعالهم كلها أو بعضها؛ لأنه روي في الخبر أنه قال: "كفى بالمرء شراً أن يري الناس أنه يخشى الله وقلبه فاجر". وقال أبو عثمان: "زينة الظاهر مع فجور يورث الإصرار".

مِنْ عَيْبِهَا تَضْيِيعُ أَوْقَاتِهِ
 وَذَاكَ مِنْ جَهَالَةٍ بِالْوَقْتِ
 دَوَاؤُهُ اهْتِمَامُهُ بِوَقْتِهِ
 أَعَزُّ شَيْءٍ وَقُتْنَا مَتَى ذَهَبَ
 ثُمَّ يَعُودُ حَسْرَةً فِي الْآخِرَةِ
 وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْتَغَلْ بِالْخَيْرِ
 فَلْتَحْذَرْ النَّفْسَ ثُمَّ الْحَذَرِ
 بِالْخَوْضِ فِي الدُّنْيَا وَمَا قَدْ فَاتَهُ
 وَمَا لَهُ مِنْ عِزَّةٍ وَتُبَّتْ
 وَذَكَرُهُ فِيهِ هُجُومَ مَوْتِهِ
 بَغَيْرِ شُغْلٍ فَاتَنَا مِنْهُ الْأَرْبُ
 وَظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ ثُمَّ الْحَافِرَةُ
 أَشْغَلَتِ الْمَرْءَ بِكُلِّ شَرٍّ⁽¹⁾
 فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ الْغَدْرِ

السلمي

ومن عيوبها: تضييع أوقاته بالانشغال بما لا يعنيه من أمور الدنيا، والخوض فيها مع أهلها.
 ومداواتها: أن يعلم أن وقته أعز الأشياء عليه؛ فيشغله بأعز الأشياء؛ وهو ذكر الله،
 والمداومة على طاعته، ومطالبتة الإخلاص من نفسه؛ فإنه روي عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال: "من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه".
 ومن ترك ما لا يعنيه اشتغل بما يعنيه؛ وقال الحسن: "عليك بنفسك إن لم تشغلها
 أشغلتك".

(1) لأن النفس إن لم تشغلها شغلتك.

مِنْ عَيْبِهَا شِدَّتُهُ فِي غَضَبِهِ وَذَاكَ أَمْرٌ آيِلٌ لِعُطْبِهِ⁽¹⁾
 لِأَنَّهُ مِفْتَاحُ نَضْرٍ نَفْسِهِ وَبُعْدُهُ عَنْ ضَبْطِهِ لِحِسِّهِ
 وَأَضْلُهُ فِي غَيْرَةِ فِي النَّفْسِ وَرُؤْيَا الْحَقِّ لَهَا فِي الْجِنْسِ
 دَوَاؤُهُ اسْتِعْمَالُهُ وَصَفَ الرِّضَى وَرَدُّهُ النَّفْسِ لِأَحْكَامِ الْقَضَا
 حَتَّى تَلِينِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مُنْقَادَةً إِلَى إِتْبَاعِ الْحَقِّ
 وَغَضَبُ الْمَرْءِ لِغَيْرِ رَبِّهِ مِنْ نَفْخَةِ الشَّيْطَانِ فِي قَلْبِهِ
 قَالَ الرَّسُولُ الَّذِي أَتَاهُ لَا تَغْضَبَنَّ عِنْدَمَا اسْتَوْصَاهُ⁽²⁾
 إِذْ غَضَبُ الْمَرْءِ إِلَى الْهَلَاكِ يَجْرُهُ بِقَصْدِ الْإِسْتِهْلَاكِ

السلمي

ومن عيوبها الغضب. ومداواتها: حمل النفس على الرضا بالقضاء؛ فإن الغضب جمرة من الشيطان؛ ولأن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال أوصني؛ فقال: "لا تغضب"؛ ولأن الغضب يخرج العبد إلى حد الهلاك. إذا لم يصحبه من الله تعالى زجر ومنع.

(1) أصل الغضب رؤية حق النفس والانتصار لها، ويتولد عن الغضب الحقد والمكر والخديعة وطلب التشفي.

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له أوصني؛ فقال عليه السلام: "لا تغضب... ثلاثا". أخرجه البخاري في كتاب الأدب.

مِنْ عَيْنِهَا الْكَذِبُ فِي الْأَخْبَارِ
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِقُبْحِ الْكَذِبِ
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَعِنْدَ النَّاسِ
 وَقَدْ يَرَى لَطْلَبَ التَّبَاهِي
 وَتَرَكَ قَصْدَ النَّاسِ بِالْكَلامِ
 الصِّدْقُ يَهْدِي لِعَظِيمِ الْبِرِّ
 وَكَذِبٌ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ
 وَذَلِكَ مِنْ خَسَاسَةٍ وَعَارٍ
 وَأَنَّهُ مُوصِلٌ لِلْعَطَبِ
 بِالذُّلِّ وَالصَّغَارِ وَالْإِبْلَاسِ
 وَرَفُضِهِ بِقَصْدِ وَجْهِ اللَّهِ
 إِذْ قَدْ أَتَى عِنْدَ سَيِّدِ الْأَنَامِ
 وَالْبِرُّ يَهْدِي لِجَنَانٍ قَادِرٍ
 وَذَلِكَ بَابُ الْوَيْلِ وَالثُّبُورِ⁽¹⁾

السلمي

ومن عيوبها: الكذب.
 ومداواتها: ترك الاشتغال برضا الخلق وسخطهم؛ فإن الذي يحمل صاحب الكذب
 على الكذب طلب رضا الناس؛ أو التزيين لهم، وطلب الجاه عندهم؛ فإنه روي عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الصدق يهدي إلى البر، والكذب يهدي إلى الفجور،
 والفجور يهدي إلى النار".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار... الحديث".

مِنْ عَيْبِهَا الشُّحُّ كَذَاكَ الْبُخْلُ وَحُبُّ دُنْيَاهُ لَذَاكَ أَضْلُ⁽¹⁾
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِحَالِ الدُّنْيَا وَأَنْهَا قَلِيلَةٌ فِي الْمَخْيِ
 فَاِنِّيَّةٌ حَلَالُهَا حِسَابُ زَائِلَةٌ حَرَامُهَا عِقَابُ
 وَبُخْلُهُ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ رَذِيلَةٌ قَبِيحَةٌ ذَمِيمَةٌ
 مَنْشَأُهُ الْأَضْلَى خَوْفُ الْفَقْرِ وَضَعْفُ إِيْمَانٍ بِأَضْلِ الْأَمْرِ
 وَتُهْمَةٌ لِقِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ دُونَ رِضَى بِالْوَاحِدِ الْخَلْقِ
 إِذْ مَنَعَهُ لِلْحَاضِرِ الْمُوجُودِ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ كَانَ بِالْمَعْبُودِ
 قَالَ الرَّسُولُ أَنْفَقَنْ بِلَالًا وَلَا تَخَفْ مِنْ رَبِّنَا إِقْلَالًا
 وَقَالَ كُلُّ زَلَّةٍ وَإِثْمٍ مِنْ حُبِّ دُنْيَانَا فَكُنْ ذَا فَهْمٍ
 بِأَنْ تُرَى فِي حَلَبَةِ السَّبَاقِ بِالْقَصْدِ فِي الْإِعْطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ
 إِذْ لَيْسَ فِي الْإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ خَيْرٌ وَلَا بَرٌّ وَعَرْفٌ جَارٍ⁽²⁾

(1) أصل البخل مخافة الفقر، ويتولد من خوف الفقر الحسد والشح والغضب والتعدي والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، ودواء البخل العلم بأن الدنيا زائلة.

قال صلى الله عليه وسلم: "بريء من الشح من أقرى الضيف وأدى الزكاة واعطى في النائة" رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(2) التوسط في الإنفاق وعدم الإسراف أو التقدير قاعدة من قواعد الشرع قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا).

قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية:

والمحارم القلبية أربعة:

1: الرياء وأصله الطمع، ودواؤه الورع.

2: والعجب وأصله الكبر، ودواؤه رؤية المنة لله، وأنت لا تستحق شيئا من حيث أنت.

3: والبخل وأصله خوف الفقر، ودواؤه العلم بأن الدنيا زائلة، وحالها حائل.

السلمي

ومن عيوبها: الشح، والبخل؛ وهما نتائج حب الدنيا. ومداواتها: أن يعلم أن الدنيا قليلة، وأنها فانية، وأن حلالها حساب، وحرامها عذاب؛ كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"، وأن الله تعالى أخبر عنها أنها متاع الغرور؛ فلا يبخل بها، ولا يشح ويجهتد في بذلها، ولا يمسك منها إلا مقدار ما يدافع به وقته؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال لبلال: "ولا تخش من ذي العرش إقلالا".

4: والغضب وأصله رؤية حق النفس، ودواؤه النظر في مقبحاتها فكرا ونقلا. فمن الكبر يتولد عدم الإنصاف، وبطر الحق، واحتقار الخلق، والترفع على عباد الله، واتباع الهوى ومن خوف الفقر يتولد الحسد والشح والغضب والتعدي والسرقة، وأكل مال اليتيم، وأكل المال بالباطل. ومن رؤية حق النفس والشفقة عليها يتولد الحقد والمكر والخديعة وطلب التشفي، ونحو ذلك؛ وقد قال تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)، وقال تعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار).

مِنْ عَيْبِهَا فِي حَالِهَا بَعْدُ الْأَمَلِ وَذَاكَ مِنْ نِسْيَانِهَا قُرْبُ الْأَجَلِ
 دَوَاؤُهُ دَوَامُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْجِدُّ وَالْتَّشْمِيرُ خَوْفُ الْفَوْتِ
 فَمَنْ مَشَى فِي غُبْرَةِ الْأَمَالِ عِثَارُهُ فِي شَكْلِ الْأَجَالِ
 وَسَتَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ أَفْرَشَ تَحْتِكَ أَمْ حِمَارُ⁽¹⁾
 وَقَالَ بَعْضُ سَلَفِ الْأَنَامِ قَوْلًا صَحِيحًا وَاضِحَ الْأَحْكَامِ
 أَحَبُّ رَبًّا أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ بِكُلِّ حَالٍ فَاحْذَرُوهُ تَوْمَنُ
 وَآمَنَ الْمَكْرَ فَذَاكَ خَاسِرُ وَخَائِفُ الْمَكْرِ لَبِيبُ ظَافِرُ⁽²⁾

السلمي

ومن عيوبها: بعد أملها.
ومداواتها: تقريب الأجل، ويعلم أن بعض السلف قال: "أحسب أن الله لا يؤمن على حال؛ فاحذر الأحوال كلها.

(1) هذا البيت يذكرني بقصة المديني مع الجبلي حيث سأل الأول الثاني؛ وهو يريد التهكم منه: هل لحيتك أحسن من ذيل كلبك؟ أم ذيل كلبك أحسن من لحيتك؟ فأجابه الجبلي بهدوء - وكان من أولياء الله - :
"إذا اجتزت الصراط يوم القيامة فلحيتي أكرم عند الله من ذيل كلبتي؛ أما إذا وقعت في النار فذيل كلبتي أكرم".

هذا البيت يقال مثلاً للمتسابقين على الفوز. واي فوز هنا؟ إنه الفوز برضا الله.
(2) يقول الله تعالى: (أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون). سور الأعراف. الآية 98.

مِنْ عَيْبِهَا اغْتَرَارُهَا بِالْمَدْحِ
 وَذَاكَ مِنْ سَخَفٍ وَمِنْ حَمَاقَةٍ
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ مَدْحَهُمْ
 وَأَجْهَلُ النَّاسِ الَّذِي يَتْرُكُ مَا
 وَلَيْسَتْ حِ الْعَبْدُ مِنْ مَوْلَاهُ
 وَلِيَسْتَوْجِبَهُ بِالثَّنَاءِ الْأَكْمَلِ
 وَمَنْ يَكُنْ يَغْتَرُّ بِالْأَمْدَاحِ
 بِغَيْرِ حَقٍّ وَهُوَ عَيْنُ الذَّنْبِ⁽¹⁾
 يُزْرِي بِمَنْ قَبْلَهُ وَذَاقَهُ
 لَيْسَ يُفِيدُ وَكَذَاكَ ذَمُّهُمْ
 عِلْمُهُ لِأَجْلِ أَمْرٍ وَهَمَّا
 مَهْمَا مُدِحٍ بِغَيْرِ مَا أَتَاهُ
 عَلَى الَّذِي سَتَرَهُ فِي الزَّلَلِ
 فَمَالَهُ فِي الدِّينِ مِنْ فَلَاحِ

السلمي

ومن عيوبها: الاغترار بالمدائح الباطلة.
ومداواتها: أن لا يغره كلام الناس مع ما يعرفه بنفسه؛ فإن حقيقة الأمر يخلص إليهم دونهم، وأن ثناءهم عليه دون ما يعرفه الله منه، ويعرفه هو من نفسه. لا ينجيه؛ فلم يغتر به؟

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "أحثوا التراب في وجوه المادحين" أخرجه أبو داود في كتاب الأدب.

إذا كان المدح والثناء الحسن بما هو كائن مباح؛ بل أحيانا يكون مطلوباً لأنه يقوي همة الممدوح ويشجعه على الاتصاف بالفضائل وفعل الخيرات؛ فإنه يحرم الإطراء في المدح فضلاً عن المدح بالمحرم أو الثناء على أهل البدع والأهواء؛ لأن ذلك مما يشجع على المنكر.

مِنْ عَيْبِهَا الْحِرْضُ وَثُمَّ الْحَسَدُ
 أَضْلُهُمَا ضَعْفُ قَوَى الْإِيمَانِ
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْحِرْصَ
 مَعَ أَنَّهُ لَا يَجْلُبُ الْأَرْزَاقَ
 وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ كَثُوبُ رِزْقِنَا
 كَذَا الشَّقَاوَةُ مَعَ السَّعَادَةِ
 ثُمَّ دَوَاءُ الْحَسَدِ الْمَشُومِ
 وَالْعِلْمُ أَنَّهُ عَدُو النَّعْمَةِ
 وَكَوْنُهُ يُرِيدُ حُكْمَهُ عَلَى
 وَأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ الْيَهُودِ
 هَذَا مَعَ ابْتِلَائِهِ بِالْكَمَدِ
 فَلَا وُضُولَ مِنْهُ لِلْمَحْسُودِ
 كِلَاهُمَا مِنْ رَبِّنَا مُبْعَدُ
 وَالْبُعْدُ عَنْ مَنَاهِجِ الْإِحْسَانِ
 مُؤَثِّرٌ فِي مُنْتَهَاهُ نَقْصًا
 وَلَيْسَ يَرْضَى فِعْلُهُ الْخَلَاقَا
 وَأَجَلٍ وَعَمَلٍ فِي خَلْقِنَا
 فَمَا يَفِيدُ النَّقْصُ وَالزِّيَادَةُ⁽¹⁾
 بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لِلْمَظْلُومِ
 إِذْ قَضَاهُ بِهِ حُلُولُ النِّقْمَةِ
 قِسْمَةِ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ذِي الْعُلَا
 مَعَ ارْتِفَاعِ رُتْبَةِ الْمَحْسُودِ
 وَغَيْرِهِ مِنْ تَبِعَاتِ الْحَسَدِ⁽²⁾
 إِلَّا اجْتِمَاعُ الْغَمِّ وَالذُّنُوبِ

(1) يشير إلى الحديث الطويل المروي في الموضوع ومنه: "... ثم يكتب عمره ورزقه، وشقي هو أم سعيد؟... الحديث".

(2) الحسد يورث الكمد والهم والحزن.

السلمي

ومن عيوبها: الحرص، والحسد.
ومداواتها: أن يعلم أنه لا يستجلب بحرصه زيادة ما قدر الله من رزقه؛ كما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول للملك: 'اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد'.
والله تعالى يقول: (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد).
وأن يعلم أن الحسد عدو نعمة الله، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تحاسدوا".
ونتيجة الحسد من قلة الشفقة على المسلمين.

مِنْ عَيْبِهَا الْإِصْرَارُ وَهِيَ مَقْفِرَةٌ مَعَ رَجَاءٍ رَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ
 وَذَا غُرُورٌ ظَاهِرٌ وَجَهْلٌ لَيْسَ لَهُ فِي الصَّالِحَاتِ أَضْلٌ
 قَدْ ذَمَّ رَبِّي مَنْ طَرِيقَهُ اقْتَفَى وَكَانَ خَلْفًا فَاسِدًا مَا خَلَفَا
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْغُفْرَانَ وَالْعَفْوَ وَالرَّحْمَةَ لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ
 فِي آلِ عِمْرَانَ وَلَمْ يُصِرُّوا شَرِطٌ لَدَى الْمُسْتَغْفِرِينَ ذِكْرُ⁽¹⁾
 وَسُورَةُ الْأَعْرَافِ فِيهَا الرَّحْمَةُ سَابِقَةُ الْإِحْسَانِ خُذَهَا حِكْمَةً⁽²⁾
 قَالَ أَبُو حَفْصٍ وَبِالْإِصْرَارِ يَهَاوُنُ الْعَبْدُ بِقَدْرِ الْبَارِ⁽³⁾

السلمي

ومن عيوبها: الإصرار على الذنب مع تمني الرحمة، ورجاء المغفرة.
 ومداواتها: أن يعلم أن الله أوجب مغفرته لمن لا يصر على الذنب حيث قال: (ولم
 يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون).
 قال أبو حفص: "الإصرار على الذنب من التهاون بقدر الله".
 ويعلم أن الله تعالى أوجب الرحمة للمحسنين، وأوجب المغفرة للتائبين حيث قال:
 (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه)، وقال: (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
 اهتدى).

(1) يشير إلى قوله تعالى: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
 لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) سورة آل
 عمران الآية 135.

(2) يشير إلى قوله تعالى: (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء
 فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) سورة الأعراف الآية
 136.

(3) يعني أبو حفص الحداد.

مِنْ عَيْبِهَا أَنْ لَا تُجِيبُ طَوْعًا
وَذَاكَ مِنْ دَعْوَى لَدَيْهَا كَامِنَةٌ
دَوَاؤُهُ بِالْجُوعِ وَالْأَشْفَارِ
حَتَّى تَصِيرَ إِلْفَهَا بِكُزِّهِ
قَدْ قَالَ طَيْفُورُ هُوَ الْبِسْطَامُ
لِلنَّفْسِ مَا لَمْ تُجِبْ لِلطَّاعَةِ
حَوْلًا مِنَ الزَّمَانِ بِاسْتِيفَاءِ
دَعْوَاكَ وَالْإِشْرَافِ لِلْمَرَاتِبِ
لَطَاعَةٍ وَلَا تُلْقِي سَمْعًا
حَتَّى غَدَتْ ذَاتَ اغْتِرَارٍ أَمِنَةٍ
وَالْجُهْدِ فِي اللَّيْلِ وَفِي النَّهَارِ
وَذَاكَ لِلطَّوْعِ خَفِيفًا يُنْهِي
أَهْوَنُ مَا لَقِيتُ فِي أَيَّامٍ⁽¹⁾
طَوْعًا بِتَرْكِ الْمَاءِ وَالْمَجَاعَةِ⁽²⁾
فَهَذِهِ أَخْوَالِ ذِي الْوَلَاءِ
مُعْتَبِرًا مَا لَكَ مِنْ مَنَاقِبِ

السلمي

ومن عيوبه: أن لا تجيب إلى طاعة الله طوعا. ومداواتها: بالجوع، والعطش، والتقطع بالأسفار، والحمل على المكاره؛ ولذلك سمعت منصور بن عبد الله يقول: "سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: قال رجل لأبي يزيد البسطامي: "ما أشد ما لقيت في سبيل الله؛ فقال: لا يمكن وصفه؛ فقال: ما أهون ما لقيت نفسك في سبيل الله؛ فقال: أما هذا فنعم. دعوتها إلى شيء من الطاعات؛ فلم تجبني طوعا؛ فمنعتها⁽³⁾ سنة كاملة".

(1) طيفور البسطام: هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي من أعلام الطريق وأهل التصوف. كان جده مجوسيا وأسلم. توفي سنة 264 هجرية، وإليه تنسب الطريقة الطيفورية.

(2) سئل يوما: "بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟" فقال: ببطن جائع وبدن عار". وسئل متى يكون الرجل متواضعا؟ فقال: "إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه".

(3) أي منعتها من شهواتها المباحة شرعا سنة كاملة.

مِنْ عَيْبِهَا الْجَمْعُ مَعًا وَالْمَنْعُ
 وَأَضْلُهُ الْبُخْلُ وَخَوْفُ الْفَقْرِ
 دَوَاؤُهُ اسْتِشْعَارُهُ قُرْبَ الْأَجْلِ
 فَيَنْتَفِعُ الْغَيْرَ وَلَا يَنْتَفِعُهُ
 مَعَ أَنَّهُ مُحَاسَبٌ عَلَيْهِ
 قَالَ الرَّسُولُ كُلُّ مَا قَدَّمْتَ
 وَلَكَ مَا لِبِسْتَهُ إِنْ أَبْلَيْتَهُ
 ثُمَّ الَّذِي صَدَّقْتَهُ أَمْضَيْتَهُ
 فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ
 وَذَاكَ ضَرٌّ مَا لَدَيْهِ نَفْعٌ
 وَحُبُّ دُنْيَا مَا بِهَا مِنْ خَيْرٍ
 وَأَنَّ مَالَهُ لِغَيْرِهِ انْتَقَلَ
 إِذْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ يَمْنَعُهُ
 مُطَالِبٌ بِحَقِّهِ لَدَيْهِ
 مَالُكَ وَالْغَيْرُ لِمَنْ تَرَكْتَهُ
 أَوِ الَّذِي أَكَلْتَ إِنْ أَفْتَيْتَهُ
 وَعِنْدَ رَبِّنَا غَدًا وَجَدْتَهُ⁽¹⁾
 وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُمْسِي مَصِيرَهُ

السلمي

ومن عيوبها: حرصها على الجمع والمنع.
 ومدادواتها: أن يعلم انبهاهم عمره، وقرب أجله؛ فيجمع على قدر نفسه، ويمنع بقدر
 حياته؛ فمن لا يأمن حصول المتابعة على نفسه جهل. مع ما روي عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ فقالوا: ليس منا أحد إلا وماله أحب
 إليه من مال وارثه؛ فقال: مالك ما قدمت، ومال وارثك ما أخرت".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "يقول ابن آدم مالي. مالي؛ وليس له مال إلا ما لبس فأبلى، أو أكل فأفنى، أو تصدق فأبقى".

مِنْ عَيْبِهَا الصُّحْبَةُ لِلْمُخَالَفِينَ
وَذَاكَ مِنْ بَقِيَّةِ الثُّرُوعِ
دَوَاؤُهُ صُحْبَةُ أَهْلِ الطَّاعَةِ
فَكُلُّ مَنْ يَصْحَبُ غَيْرَ جَنْسِهِ
أَفْضَلُ لِلْمَرْءِ جُلُوسٌ وَخَدَهُ
وَمُشَبِّهُ الْقَوْمِ فَذَاكَ مِنْهُمْ
هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ فِي الْحَدِيثِ
وَقِيلَ إِنَّ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ
وَقِيلَ مَهْمَا بَعْدَ الْفُؤَادِ
بِمَقْتِ كُلِّ عَابِدٍ أَوَاهِ
وَعَسْكَرُ أَبُو تَرَابِ النَّخْشَبِيِّ
وَأَهْلُ الْأَغْرَاضِ مِنَ الْمُؤَالِفِينَ⁽¹⁾
لِفَعْلِهِمْ وَطَلَبِ الرُّجُوعِ
وَالتَّابِعِينَ الْحَقِّ وَالْجَمَاعَةِ
فَجَاهِلٌ بِاللَّهِ قَدَرُ نَفْسِهِ
وَلَا يَكُنْ جَلِيسَ سُوءٍ عِنْدَهُ
وَمُكْثِرُ السَّوَادِ عُدَّ فِيهِمْ⁽²⁾
عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ فَخُذْ حَدِيثَ
تَقْضِي بِسُوءِ الظَّنِّ فِي الْأَخْيَارِ
عَنْ رَبِّهِ عَارِضَهُ الْفَسَادُ
فَاسْتَوْجَبَ الْمَقْتَ بِعَدْلِ اللَّهِ
قَالَ كَلَامًا حَسَنًا فِي الْمَذْهَبِ⁽³⁾

(1) المخالفين للشرع.

(2) مكثر السواد: الذي يكثر من رفقة أهل المعاصي.

قال صلى الله عليه وسلم: "مثل الجلّيس الصالح وجلّيس السوء كحامل المسك ونافخ الكير... الحديث " انضره فيما سبق.

(3) عسكر النخشبي: هو أبو تراب عسكر بن حصن النخشبي - نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر - من جلة مشايخ خراسان وأكابرهم. صحب الأصم، وتلمذ على علي الرازي.

كان قوته ما وجدته، ولباسه ما ستره، ومسكنه حيث نزل. توفي سنة 245 هجرية من أقواله:

- " إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمل؛ فإذا أخلص وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة العمل".

الْقَلْبَ مَهْمًا أَلِفَ الْإِعْرَاضَا عَنْ رَبِّهِ يُوَاقِعُ الْأَعْرَاضَا⁽¹⁾
 أَعْرَاضُ أَهْلِ الْجِدِّ وَالْعِنَايَةِ وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْوِلَايَةِ⁽²⁾
 وَذَاكَ بَابُ الْهَلْكِ فِي الْوُجُودِ بِوَعْدِ رَبِّ الْوَاحِدِ الْوُدُودِ
 إِذْ مَنْ أَدَى وَلِيَّهِ قَدْ حَارَبَهُ وَمَنْ يُطِيقُ ذَاكَ أَنْ يُقَارِبَهُ⁽³⁾

السلمي *

ومن عيوبها: صحبة المخالفين، والمعارضين عن الحق. ومداواتها: الرجوع إلى صحبة الموافقين، والمقبولين عند الله تعالى؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تشبه بقوم؛ فهو منهم"، وقال بعض السلف: "صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار"، وقال بعضهم: "القلوب إذا بعدت عن الله مقتت القائمين بحق الله".

(1) الأعراض: جمع عرض.

(2) يشير في ذلك إلى قول عسكر النخشبي: "إذا أَلِفَ القلبُ الإعراضَ عن الله صحبته الوقعة في أعراض أولياء الله".

(3) يشير إلى الحديث القدسي: "من عادى - أو آذى - لي وليا فقد آذنته بحرب".

مِنْ عَيْبِهَا اسْتِرْسَالُهُ فِي الْغَفْلَةِ
 وَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ مَا لَدَيْهِ
 دَوَاؤُهُ فِي ذَلِكَ الْمُرَاقَبَةِ
 وَكَوْنُهُ مُحَاسِباً لِنَفْسِهِ
 وَسَامِعاً أَخْبَارَ أَهْلِ الْجِدِّ
 لِأَنَّ حَيَّ الْقَلْبِ بِالتَّذْكَارِ
 وَمَيِّتَ الْقَلْبِ فَلَا يَنْفَعُهُ
 وَتَرْكُهُ الْعَمَلَ حَالِ الْمُهْلَةِ
 مِنَ الْيَقِينِ وَالَّذِي إِلَيْهِ
 وَالْجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ وَالْمُطَالَبَةُ
 وَذَاكِرًا يَوْمَ حُلُولِ رَمْسِهِ
 لِيَنْهَضَ الْهَمَّةُ عِنْدَ الْقَصْدِ
 يُعِينُ ذَا الْأَعْمَالِ وَالْأَذْكَارِ
 ذِكْرٌ وَلَا فِكْرٌ وَلَا يَجْمَعُهُ

السلمي

ومن عيوبها: الغفلة.
 ومداواتها: أن يعلم أنه ليس بمغفول عنه، وأن الله تعالى يقول: (وما ربك بغافل عما يعملون)، ويعلم أنه محاسب على الخطرة، والهمة، ومن تحقق هذا راقب أوقاته، وراعي أحواله؛ فيزول عنه بذلك عيب الغفلة.

مِنْ عَيْنِهَا التَّجْرِيدُ مِنْ تَكْسِبٍ وَالتَّزْكُ لِلْعَمَلِ وَالتَّسْبِبِ
 لَكَيْ يَقَالَ إِنَّهُ تَوَكَّلَا مَعَ أَنَّهُ لِحُكْمِ ذَاكَ أَهْمَلَا
 إِذْ يَطْلُبُ الرِّزْقَ بِالِاسْتِشْرَافِ وَيَسْخَطُ لَاتٍ بِالِانْصِرَافِ
 وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ تَذِيرٍ وَعَدَمِ التَّقْوِيضِ فِي الْأُمُورِ⁽¹⁾
 إِذْ قَدْ أَتَى فِي ذَاكَ نَصٌّ أَغْرَبَا أَطْيَبُ أَكْلِ الْمَرْءِ مِمَّا اكْتَسَبَا
 مَعَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ عَجَبُ وَلَا رِيَاءَ يَقْتَضِيهِ الْكَسْبُ
 وَمَنْ يَكُنْ مِنْ حَالِهِ التَّجْرِيدُ وَهُوَ بِهِ لِلْخَيْرِ يَسْتَفِيدُ
 مَعَ انْقِطَاعِ نَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ فَحُكْمُهُ فِيهِ دَوَامُ الْأَمْرِ
 كَحَالِ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكَرَامِ السَّادَةِ الْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ

(1) ذلك ما دأب عليه غلاة المتصوفة الذين يتجردون عن طلب أسباب العيش ويقولون إنهم متوكلون؛ وفي أمثالهم قال عمر رضي الله عنه: "لو توكلتم على الله حقا لتزودتم".

إذ أن الشرع يأمرنا بالقيام بالأسباب ثم انتظار التوفيق من الله تعالى؛ وفي ذلك يقول الرسول الأكرم: "اعقلها وتوكل"، وقال: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما رزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"؛ فالتوكل لا ينفي القيام بالأسباب.

قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "قال العلماء: من وجد كفاية عن الأسباب فالله أغناه؛ وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب اتكالا على الناس وهو قادر على الاكتساب".

السلمي

ومن عيوبها: ترك الكسب، والقعود عنه إظهارا للخلق أنه قعد متوكلا. ثم يتشوف للإرفاق، ويتسخط إذا لم تأت الأرزاق. ومداواتها: التزام الكسب؛ كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أطيب ما أكل الرجل من كسبه". ظاهرا، ويتوكل باطنا؛ ليكون مكتسبا مع الخلق في الظاهر، ومتوكلا على الله في الباطن.

مِنْ عَيْبِهَا الْقِيَامُ بِالِدَّعَاوِي
 مَعَ الْفِرَارِ مِنْ عُلُومِ الظَّاهِرِ
 وَذَاكَ مِنْ جَهْلِ الْفَتَى بِالَّذِينَ
 دَوَّأُوهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الدَّعَاوِي
 وَأَنَّ رَبَّ الْخَلْقِ بِالظَّوَاهِرِ
 فَلَيْسَ هَذَا نَافِعاً بَلَاذَا
 وَالْعِلْمُ قَالَ الْمُصْطَفَى فَرِيضَةُ
 فَلِتَطْلُبِ الْعِلْمَ بِطُولِ الدَّهْرِ
 فَإِنْ تَقُمْ بِذَاكَ كُنْتَ مُسْتَقِيمَ
 فَالْعِلْمُ بَحْرٌ مَالَهُ نَهَائِهِ
 إِذْ جَاءَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ

وَتَرَكُ مَا بِهَا مِنَ الْمَهَاوِي
 وَفَقَدَ مَا تَحْطَى بِهِ السَّرَائِرُ
 وَفَقَدَ التَّحْقِيقَ بِالْيَقِينِ
 تُفْضِي إِلَى مُصِيبَةٍ وَبَلَاوِي
 أَمَرْنَا حَقًّا وَبِالسَّرَائِرِ
 وَلَا يَقُومُ ذَا بِدُونِ هَذَا
 وَهُوَ لَدَيْهِ خَضِرَةٌ عَرِيضَةٌ⁽¹⁾
 عِلْمَ الْحَلَالِ وَإِتْبَاعَ الْأَمْرِ
 وَيَفْتَحُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ الْعَظِيمِ⁽²⁾
 وَلَا إِلَى آخِرِهِ غَايَةٍ⁽³⁾
 وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ⁽⁴⁾

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"؛ والمسلم كلمة عامة تنصب على الذكر والأنثى.

(2) يرى الشيخ زروق بأن الحقيقة قائمة على الشريعة؛ لذا فإن علم الشريعة واجب وحباً عينياً، وأن الفتحة لا يكون إلا عن طريق العلم؛ وذلك لتأكيد الحقيقة باليقين.

(3) يقول الله تعالى في سورة الكهف: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً)

(4) يشير إلى قوله تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم).

السلمي

ومن عيوبها: الفرار بما يوجب عليه ظاهر العلم إلى الدعاوى، والأحوال.
ومداواتها: ملازمتها العلم؛ فإن الله تعالى يقول (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)، وقال: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

وَمَنْهُ عَلَى الَّذِي أُعْطَاهُ	مِنْ عَيْبِهَا اسْتِعْظَامُهُ عَطَاهُ
وَبُخْلِهِ الَّذِي قَضَى بِهِلِكِهِ	وَذَاكَ مِنْ رُؤْيَيْهِ لِمَلِكِهِ
فِي كُلِّ مَا يُعْطَى بِلا تَنَاهٍ ⁽¹⁾	دَوَائُهُ رُؤْيَاهُ مَنِ اللَّه
فِي مَالِهِ الَّذِي لَا يُلَاحِظُ	وَلِنَّمَا هُوَ أَمِينٌ حَافِظُ
حَسَبَمَا قَسَمَ أَوْ مَا قَدَّرَا	يُوصِلُ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَمَرَا
وَلَا بِقَسَمٍ وَاجِبِ الْمَحْضُولِ	وَالْفَخْرُ لَا يَضْلُحُ بِالتَّوَصِيلِ
ثُمَّ لَهُ انْتِزَاعُهُ بِغَدْلِهِ	إِذْ كُلُّ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ فَضْلِهِ
كَيْفَ يَرَى بِبَدْلِهَا سُرُورَا	وَمَنْ يَكُنْ لَمْ يَمْلِكِ الْأُمُورَا

السلمي

ومن عيوبها: استعظام ما تعطي، وما تبذل، والافتتان به على من يأخذ.
ومداواتها: أن يعلم أنه يوصل إليهم أرزاقهم، وأن الرزاق والمعطي في الحقيقة هو الله؛
وأنه واسطة، ولا يتعاضم في إيصال حق إلى مستحق.

(1) تناه: أي انتهاء، أو حدود.

مِنْ عَيْبِهَا إِظْهَارُهُ لِلْفَقْرِ
 وَذَالِ مَنْ طَمَعِهِ وَخِسَّتِهِ
 دَوَاؤُهُ إِظْهَارُهُ الْكِفَايَةَ
 فَابْنُ نُجَيْدٍ قَالَ فِي التَّصَوُّفِ
 كَانَ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الطَّرِيقَةِ
 فَيَفْتَقِرَ بَعْدَ الْغِنَى وَيَسْتَتِرَ
 وَالْيَوْمَ صَارَ الْحَالُ عَكْسَ الْحَالِ
 وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ
 قَدْ جُمِعَتْ مَعَ التَّفَاقِ وَالرِّيَا
 وَثُلُثُ الدِّينِ بِذَلِكَ يَذْهَبُ
 مَعَ كِفَايَةِ وَرِزْقٍ يَجْرِي
 وَفَقْدِهِ يَقِينُهُ مَعَ هَمَّتِهِ
 مَعَ قَلَّةٍ وَصَبْرِهِ بِالْغَايَةِ
 قَوْلًا صَحِيحًا ظَاهِرَ التَّصَرُّفِ⁽¹⁾
 يَبْنِي عَلَى الْحَقِّ مَعَ الْحَقِيقَةِ
 بِفَقْرِهِ فِي الْحَالِ كَيْ لَا يَشْتَهَرَ
 إِذْ يُظْهَرُ الْفَقْرُ كَثِيرُ الْمَالِ
 رَذِيلَةٌ قَبِيحَةٌ ذَمِيمَةٌ
 إِثَارُهُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الْأَغْنِيَا
 إِذْ التَّزَيُّنُ عَلَيْهِ يَغْلِبُ

السلمي

ومن عيوبها: إظهار الفقر مع الكفاية.
 ومداواتها: إظهار الكفاية مع القلة. سمعت جدي⁽²⁾ رحمه الله تعالى يقول: "كان الناس يدخلون في التصوف أغنياء؛ ويفتقرون، ويظهرون الغنى. في هذا الوقت يدخلون في التصوف فقراء، ويستغنون. ثم يظهرون للناس الفقر".

(1) ابن نجيد: تمت الترجمة له سابقا.

(2) يقصد جده من أمه أبو عمر اسماعيل بن نجيد السلمي؛ وقد عاش أبو عبد الرحمان في كنف جده هذا فنسب إلى سليم؛ فقليل عنه السلمي.

مِنْ عَيْبِهَا رُؤْيَتْهُ لِفَضْلِهِ
 وَذَاكَ مِنْ جَهَالَةٍ بِالْأَضَلِ
 دَوَاؤُهُ رُؤْيَتْهُ لِنَفْسِهِ
 ثُمَّ شُهِدَ الْفَضْلُ لِلْإِخْوَانِ
 وَلَا يَصِحُّ ذَاكَ دُونَ نَظَرِهِ
 مِنْ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ أَبَدًا
 فَمَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ فَضِيلَةً
 وَمَنْ يَرَى الْفَضْلَ لِكُلِّ النَّاسِ
 وَنَحْوُ هَذَا قَوْلَةُ السَّجَزِيِّ
 مَا لَمْ تَرَ لِنَفْسِكَ الْفَضِيلَةَ
 عَلَى قَرِينِ صَاحِبٍ مِنْ أَهْلِهِ
 وَخِصَّةٍ لَاحِقَةٍ فِي الْفَضْلِ
 بِذَنْبِهِ وَعَيْبِهِ وَلُبْسِهِ
 بِمُوجِبَاتِ ظَاهِرِ الْإِيمَانِ
 لِجُمْلَةِ الْخَلْقِ بِمَا فِي خَبَرِهِ
 مَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَالِحًا وَمَنْ عَدَا
 فَهُوَ الَّذِي فِي نَفْسِهِ رَذِيلَةٌ
 فَذَاكَ خَيْرُ مَا بِهِ مِنْ بَاسِ
 الْعَالَمِ الْمُقَدَّمُ الزَّكِيُّ
 فَلَكَ فَضْلٌ وَاعْكُسِ الرَّذِيلَةُ⁽¹⁾

(1) - طلب رجل من بشر الحافي أن يحدثه؛ فامتنع؛ فقال له الرجل: "ما ذا تقول لله إذا لقيته يوم القيامة، وقال لك: لم لا تحدث الناس؟ فقال بشر: أقول يارب قد أمرتني بمخالفة نفسي؛ وإن نفسي كانت تشتهي الحديث والرياسة فخالفتها، ولم أعطها سؤلها".

- وكان يقول: "سكون النفس إلى قبول المدح لها. أشد عليها من ذل المعصية، ولا يضر الثناء من عرف نفسه".

السلمي

ومن عيوبها: رؤية فضله على إخوانه، وأقرانه.
ومداواتها: العلم بنفسه، ولا أعلم به منه، وحسن الظن بأقرانه ليحمله ذلك على احتقار نفسه؛ ورؤية فضل إخوانه، وأقرانه؛ ولا يصح له ذلك إلا بعد أن ينظر إلى الخلق بعين الزيادة، وينظر إلى نفسه بعين النقصان.
كذلك سمعت جدي يقول: "سمعت أبا عبد الله السجزي يقول: لك فضل ما لم تر فضلك؛ فإذا رأيت فضلك؛ فلا فضل لك".

مِنَ عَيْبِهَا اسْتِجْلَابُهُ لِلْفَرَحِ بِاللَّهُوِ وَاللَّعِبِ ثُمَّ الْمَرْحِ⁽¹⁾
 وَذَلِكَ مِنْ جَهْلِ بِحَالِ الْوَقْتِ وَتَرْكِ خَوْفِ مُوجِبَاتِ الْمَقْتِ
 دَوَاؤُهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ يَفْرَحُ قَدْ شُغِلَا⁽²⁾
 وَمِنْ صِفَاتِ الْمُضْطَفَى الْمُخْتَارِ دَوَامُ حُزْنِهِ مَعَ الْأَفْكَارِ⁽³⁾
 وَفِي الْحَدِيثِ قَدْ أَتَى عَنْ رَبِّنَا بِأَنَّهُ يُحِبُّ قَلْبًا قَدْ حَزِنَا
 قَالَ ابْنُ دِينَارٍ اللَّيْبُ مَالِكُ كَلِمَةً نَافِعَةً الْمَسَالِكِ⁽⁴⁾
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَلْبِ حُزْنٌ خَرِبَا مِثْلَ خَرَابِ الْبَيْتِ مَهْمَا خَرِبَا

السلمي

ومن عيوبها: حمل النفس ما يستجلب لها الفرح. ومداواتها: أن الله ييغض الفرحين لقوله تعالى: (إن الله لا يحب الفرحين)؛ وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان دائم الأحزان متواصل الفكر؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب كل قلب حزين"، وقال مالك بن دينار: "إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب؛ كما أن البيت إذا لم يسكن خرب".

- (1) المنهي عنه هو الإكثار من استجلاب أسباب الفرح؛ وإلا فإن الترويح عن النفس مباح حسب ما يستفاد من الحديث الشريف: "إن النفس لتصدأ كما يصدأ الحديد".
 - (2) وذلك إذا اشتغل باللهو على الدوام / أو أفرط فيه؛ وإلا فإن الترويح عن النفس مباح ومطلوب ما لم يكن في معصية.
 - (3) فلقد كان عليه السلام دائم الفكر متواصل الأحزان؛ وهو مقام الإحسان
 - (4) مالك بن دينار: زاهد بصري مشهور. عد من ثقة التابعين. كان يكتب المصاحف بالأجرة، ويقتات من ثمنها. أقام أربعين سنة لا يأكل إلا من عمل يده. استشهد به البخاري، ووثقه النسائي. توفي سنة 127 هجرية. انظر سير أعلام النبلاء - وشذرات الذهب.
- كان يقول: "إذا تعلم العبد العلم ليعمل به كثر علمه، وإذا تعلمه لغير العلم زاده فجورا وتكبيرا واحتقار للعامة".

مِنْ عَيْبِهَا رُؤْيَتْهُ لِصَبْرِهِ مَعَ أَنَّهُ مِنْ مُوجِبَاتِ شُكْرِهِ
 وَذَاكَ مِنْ غَلَطِهِ فِي نَفْسِهِ وَعَدَمِ اخْتِدَارِهِ مِنْ لُبْسِهِ
 دَوَاؤُهُ رُؤْيَتْهُ لِلرَّحْمَةِ فِي كُلِّ حَالٍ نِعْمَةً وَنِقْمَةً
 إِذْ لُطْفُهُ مُلَازِمٌ لِلْقَدَرِ كَمَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا فِي الْخَبَرِ⁽¹⁾
 وَأَنَّهُ لَا يَقْضِي لِلْعَبْدِ قَضَا إِلَّا وَفِيهِ خَيْرُهُ كَمَا مَضَى
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ كُلُّ الْخَلْقِ مَعَ الْإِلَهِ فِي مَقَامِ الصِّدْقِ⁽²⁾
 أَغْنَى بِهِ الصِّدْقُ بِحَالِ الشُّكْرِ وَهُمْ يَظُنُّوهُ مَقَامَ الصَّبْرِ

السلمي

ومن عيوبها: أن يكون في محل الشكر؛ وهو يظن أنه في مقام الصبر.
 ومداواتها: رؤية نعم الله في جميع الأحوال. سمعت سعيد بن عبد الله يقول: سمعت
 عمي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: "الخلق كلهم مع الله تعالى في مقام الشكر، ويظنون
 أنهم معه في مقام الصبر".

•

(1) يشير إلى الحديث الشريف: "لو اطلعتم على الغيب لوجدتم ما فعل ربكم خيرا".

(2) أبو عثمان الحيري: سبقت الترجمة له.

مِنْ عَيْبِهَا التَّرْخِصُ وَالتَّأْوِيلُ وَتَرْكُ مَا يَهْدِي لَهُ الدَّلِيلُ
 وَذَاكَ مِنْ مُجَافَاةِ الْحَقِّ وَعَدَمُ الْحَقِّ بِحَالِ الصِّدْقِ
 دَوَاؤُهُ مَنْ ذَا بِالْإِنْتِزَاهِ وَتَرْكُ كُلِّ مُوجِبِ اشْتِبَاهِ
 لِمَا أَتَى فِيهِ مِنَ التَّحْذِيرِ وَأَخْذُهُ بِأَوْثَقِ الْأُمُورِ
 إِذْ ذَاكَ مِنْ شَهْوَتِهِ وَلَعِبِهِ وَنَقْصِهِ فِي حَالِهِ وَمَذْهَبِهِ

السلمي

ومن عيوبها: تناول الرخص بالشبهات.
 ومداواتها: اجتناب الشبهات؛ وأنها تؤدي إلى فعل الحرام. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلال بَيْنَ والحرام بَيْنَ، وبينهما مشبهات؛ فمن اجتنبهن فهو أسلم لدينه وعرضه، ومن واقعهن وقع في الحرام؛ كالراعي حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى. ألا وإن لكل ملك حمى. ألا وإن حمى الله محارمه".

مِنْ عَيْبِهَا إِغْضَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ
 بِرَاحَةٍ فِي تَرْكِهِ لِعَثْبِهَا
 وَذَاكَ أَضْلُهُ الرِّضَى عَنْ نَفْسِهِ
 دَوَاؤُهُ تَدَارُكُ الزَّلَّاتِ
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ لِلْمُرِيدِينَ
 إِغْضَاؤُهُمْ عَنْ عَثَرَاتِ تَقَعِ
 لِأَنَّهُ تَعْتَادُهُ النَّفُوسُ
 فِي عَثَرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ لِأَنَّهُ
 وَذَلِكَ عِنْدَ شُعُورِ عَيْبِهَا
 فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَأَمْسِهِ
 بِتَوْبَةٍ لِحُمْلَةِ الْعَثَرَاتِ
 بِلَيَّةٍ تُرْذِلُهُمْ مُزْدِينَ⁽¹⁾
 وَتَرْكُهُمْ دَوَاءً ذَاكَ أَفْضَعُ
 فَيَخْضُلُ الضُّرْبُ بِهِ وَالْبُؤْسُ

السلمي

ومن عيوبها: الإغضاء عن نفسه في عثرة تقع به أو زلة وأمثالها.
 مداواتها: تدارك الزلات، والتوبة من جميع العثرات؛ كذلك سمعت عبد الله بن محمد
 الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: "عامة المريدين من إغضائهم مع عثرة تقع لهم، أو
 هفوة، وترك مداواتها في الوقت بدواء حتى تعتاد النفس ذلك فتسقط من درجة الإرادة".

•

(1) أبو عثمان الحيري: سبقت الترجمة له - مردين: من الردى أي الهلاك.

مِنْ عَيْبِهَا اغْتِرَازُهُ بِالْخَارِقِ
 وَذَا غُرُورٍ مَالَهُ حَقِيقَةٌ
 فَمَنْ يَكُنْ يَعْتَمِدُ الْكَرَامَةَ
 وَمَنْ يَكُنْ يَغْتَبِرُ الْمَنَامَاتِ
 دَوَاؤُهُ فِي ذَاكَ الْإِغْرَاضِ
 وَخَوْفُهُ مِنْ كَوْنِهِ اسْتِدْرَاجًا
 قَالَ الْجَنِيدُ الْعَالِمُ الزَّكِي
 بِهِ الْكَرَامَةُ أَوْ الْمَعُونَةُ
 وَبِمَنَامِهِ الْمُصِيبِ الصَّادِقِ
 إِهْمَالُهُ مِنْ أَدَبِ الطَّرِيقَةِ
 فَعَنْ قَرِيبٍ تَعْرِهُ السَّنَادَةِ
 فَهُوَ الَّذِي تَفُوتُهُ الْمَقَامَاتُ
 وَتَرُكُ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْأَغْرَاضُ
 يَكْسِبُهُ وَجُودُهُ اغْوِجَاجًا
 أَلْطَفُ مَا يُخَادِعُ الْوَلِي⁽¹⁾
 إِذْ قَدْ يَرَى بِكُلِّهَا شُؤُونَهُ

السلمي

ومن عيوبها: الاغترار بالكرامات.
 ومداواتها: أن يعلم أن أكثرها اغترارات واستدراج؛ والله تعالى يقول: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)؛ وقد قال بعض السلف: "ألطف ما يخادع به الأولياء الكرامات، والمعونات".

(1) الجنيد: سبقت الترجمة له.

إن ظهور الكرامة على يد الصوفي قد يكون استدراجاً؛ لذا ينبغي عدم صرف الهمة لاكتسابها؛ لأنها قد تكون استدراجاً؛ قال الصوفية: "الكرامة / الاستقامة".

مِنْ عَيْنِهَا إِثَارُهُ لِلْأَغْنِيَا وَحُبُّهُمْ دُونَ الثِّقَاتِ الْأُولِيَا
 وَذَاكَ مِنْ حُبِّ الَّذِي عِنْدَهُمْ وَهُوَ بِالْأَطْمَاعِ قَدْ يُتَّهَمُ
 يَحْظَى بِذُلِّ وَبِكُلِّ مَنْقَصَةٍ وَلَمْ تَزَلْ عِشَّتُهُ مُنْغَصَّةً
 دَوَاؤُهُ جُلُوسُهُ لِلْفُقَرَا وَتَرْكُهُ لِذِكْرِ شَانِ الْأُمَرَا
 وَعِلْمُهُ بِأَنَّ حُبَّ الْأَغْنِيَا مِنْ طَمَعٍ فِي نَفْسِهِ قَدْ خَفِيََا
 وَحُبُّ دُنْيَا مَا لَهَا مِنْ حَاصِلٍ إِذْ أَنَّ مُحِبُّوْبَ الْحَبِيبِ فَاصِلُ
 وَلَمْ يَزِدْ ذَا الْحِرْصِ فِي الْمَقْدُورِ فَالْمَيْلُ لِلْخَلْقِ مِنَ الْغُرُورِ
 وَالْمُضْطَفَا الْمُخْتَارُ قَدْ تَخَيَّرَا لِنَفْسِهِ جُلُوسُهُ لِلْفُقَرَا
 وَقَالَ أَيْضاً بِهِمْ أَمَرْتُ وَفِي جُلُوسِ غَيْرِهِمْ عُوتِبْتُ⁽¹⁾
 مَخِيَاهُمْ الْمَخِيَا كَذَا الْمَمَاتِ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ ثَبَاتُ
 وَمِنْ دُعَاةِ أَخِيْنِي مَسْكِينَا فَكَانَ فَضْلاً وَاضِحاً مُبِينَا
 أَوْصَى عَلَيَّ الْمُزْتَضَى بِحُبِّهِمْ وَكَمْ أَتَى فِي شَأْنِهِمْ وَقُرْبِهِمْ

(1) يشير إلى قوله تعالى: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى... الآية). حيث عاتب الله تعالى فيها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على إقباله على سادات قريش، وإعراضه عن ابن مكتوم حين جاءه يسعى طلباً للهداية وسماع القرآن.

السلمي

ومن عيوبها: محبة مجالسة الأغنياء، وميله إليهم، وإقباله عليهم، وإكرامه لهم. ومداواتها: مجالسة الفقراء، والعلم بأنه لا يصل إليه مما في أيديهم إلا مقدار ما قدره الله له؛ فيقطع الطمع منهم؛ فيسقط ذلك محبتهم والميل إليهم، ويعلم أن الله عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في مجالسة الأغنياء؛ فقال: (أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى)؛ فقال الرسول بعد ذلك: "المحبي محياكم والمماتة مماتكم"، وقال للفقراء: "أمرت أن أصبر نفسي معكم"، وقال عليه الصلاة والسلام "اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرنني في زمرة المساكين"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وغيره: "عليك بحب المساكين والدنو منهم".

وَقَدْ قَضَيْتُ مَا وَعَدْتُ أَوَّلًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَا
مِنْ رَجَزِ الْمُهِمِّ مِنْ عِيُوبِ
أَتَمَّمْتُهُ جَمِيعَهُ بِطَيِّبَةٍ
وَكَانَ ذَلِكَ بَدَارِ الْهَجْرَةِ
تُجَاهَ رَأْسِ الْهَاشِمِيِّ الْأَطْهَرِ
عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَجَلُ
عَامَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ نُجِزُ
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لَدَى الظَّهِيرَةِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا يَسَّرَا
ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى
وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ أَبَدًا
وَفَوْقَ سِتَّةٍ فِي الْمِئِينَا
فَهَذَا بِالْمَقَرَّبَا مُحْصَلَا
ثُمَّ لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا تَمَّمَا
وَمِنْ بَيَانِ الْإِلَازِمِ الْمَطْلُوبِ
وَذَاكَ تَارِيخُ مَلَا وَطَابَه
فِي رَوْضَةِ الْمُخْتَارِ قُرْبِ الْحُجْرَةِ
مَنْ حُسْنُهُ لِكُلِّ عَاقِلٍ يَنْهَرِ
تَحِيَّةً مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
بَعْدَ ثَمَانِي مِائَةٍ هَذَا الرَّجَزُ⁽¹⁾
نِصْفُ جَمَادَى وَهِيَ الْأَخِيرَةُ
مِنْ نَظْمِهِ مُهَذَّبًا مُحَرَّرًا
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَدَّ الثَّرَا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى
عَدَّتْهُ فَحَقُّ التَّبِيْنَا

(1) وفي هذه السنة حج الشيخ أحمد زروق للمرة الثالثة؛ حيث كتب أرجوزته هذه بالروضة الشريفة عند زيارته لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم. ونشير إلى أن المترجمين لم يتعرضوا لهذه المرحلة من حياة الشيخ أحمد زروق؛ ويتبين أنه قضى بين مكة والمدينة أكثر من خمسة أشهر. ولقد ختم الشيخ زروق أرجوزته بالتذكير بأنه قد أنهاها وفق ما التزم به في المقدمة. حيث جاءت مجملة ومحصلة لما قاله السلمي في الموضوع بهدف تسهيل الحفظ والتقييد والتحصيل.

وَاللَّهُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ نَافِعاً
مُسْتَغْفِراً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَزَلَلٍ
فَإِنَّهُ ذُو الْجُودِ وَالْإِكْرَامِ
لِكُلِّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ جَامِعاً
وَرَاغِباً مِنْ رَبِّنَا سَثَرِ الْعَمَلِ
وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ

خاتمة

لم يتكلم الشيخ أحمد زروق في أرجوزته "عيوب النفس ومداواتها" باعتباره فقيهاً أو مثقفاً ملماً بتراث الصوفية في الموضوع فقط؛ ولم يقدّر بوصف تلك العيوب، وبرصدها من الخارج. بناءً على ثقافته الصوفية النظرية؛ بل نجده يتكلم عن ذلك باعتباره عاش التجربة الصوفية بكلِّ أحوالها وأبعادها، وسلك كل دروبها، وقطع كل مراحلها، وكشف كل مجاهلها ليتربع على كرسي المشيخة في عصره بدون منازع. حيث صار شيخ الشيوخ، وقطب أهل زمانه.

وإذا علمنا أن الشيخ أحمد زروق قد نظم أرجوزته، وكتبها سنة 888 هجرية بعد حجته الثالثة، وأثناء ذهابه للمدينة المنورة لزيارة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنه ألفها بكاملها بالروضة الشريفة تبين لنا مدى أهمية أرجوزة عيوب النفس التي نظمها بعدما أسس طريقته الصوفية الزروقية، وبعدها اكتمل بنيانها، وبعدها صار له أتباع ومريدون من كبار وجلة العلماء الصوفية.

هذا ولقد تطرق الشيخ أحمد زروق لعيوب النفس من خلال شروحه المختلفة للحكم العطائية؛ كما أنه أفرد كتابه: «إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين» ليرسم لأتباعه من خلاله المنهج الواضح لحياتهم الباطنية وكيفية معالجة نفوسهم وتصفية قلوبهم. وتعزيزاً لما سبق شرح عيوب النفس للإمام الفخار، وأخيراً نظم فصول السلمي؛ لتسهيل حفظها وتحصيلها والانتفاع بها، باعتبارها وسيلة لتربية السالكين في الطريق الصوفية عموماً

والطريقة الزروقية على الخصوص.

إذا علمنا كل ما سبق تبين لنا حجم شخصية الشيخ أحمد زروق في هذه المرحلة بالذات، وأهمية ما كتبه أثناءها بعد اكتمال نضج فكره الفقهي، وعمق تجربته الصوفية، وتأكد لنا علو مقامه كشيخ للطريقة خبير بمكامن النفوس ودسائسها وخدعها، وكطبيب مختص يقدم لكل مريض نفسي ما يلائمه من الأدوية والأشربة الروحانية النورانية التي تطهر النفوس، وتعيد لها شفاءها، وشفاءها.

ثم إن التعبير عن هذه العيوب والأمراض، وطرق الشفاء منها رجزا ونظما ليضعنا في غمرة الأحوال النورانية الربانية التي كانت تغمر روح الشيخ أحمد زروق؛ ففاضت تلك الأنوار وتدفقت تلك المشاعر على لسانه شعرا ونظما.

إذا علمنا كل ما سبق من الظروف والأحوال والملابسات التي تزامنت وصحبت فترة نظم الشيخ أحمد زروق لأرجوزة "عيوب النفس ودواؤها" تأكدت لنا أهمية الأرجوزة في تربية السالكين، وإرشادهم إلى طرق المجاهدة الروحية بالمدرسة الزروقية الشاذلية القادرية السنية المحمدية.

فهرس المحتويات

إهداء.....	3
مقدمة.....	5
النفس عند الصوفية، وعند الشيخ أحمد زروق.....	8
موقف الأئمة من التصوف.....	17
أرجوزة عيوب النفس.....	123 - 19
صفات الشيخ زروق.....	20
التكوين الصوفي الفقهي للشيخ زروق.....	21
خاتمة.....	124
فهرس المحتويات.....	127

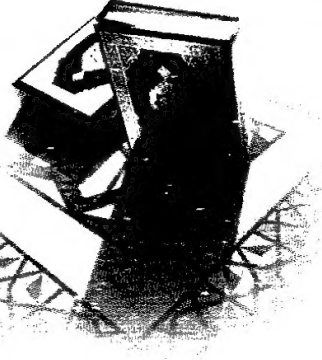
VICES OF SOUL AND ITS CURE

by

Al-šayḥ Abu al-ʿAbbās Aḥmad Zarrūq

Edited by

Mohammad Tayeb



قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِشُؤْمِ النَّفْسِ وَمَا لَهَا مِنْ عِلَّةٍ وَلَيْسَ
فِي يَوْسَفَ وَغَيْرَهَا كَالْجَائِيَةِ وَالتَّارِيعَاتِ وَهِيَ أَيُّ نَاهِيَةِ
عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ وَتَرَكَ مُوجِبَ الرِّضَى وَالْأُنْسِ
وَفِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى الْمُعْظَمِ ثَلَاثَةٌ فِي طَيِّ طَيِّينٍ لِأَدَمِ
وَهِيَ الْبَلَاءُ وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ فَلْتَعَصِمَ بِرَبِّكَ ذِي الْقُوَّةِ
عَلَى اصْطِغَارٍ وَأَذْكَارٍ وَجِهَادٍ لِكَيْ تَنْلِ بِذَلِكَ غَايَةَ الْمُرَادِ
مُشْمَرًا فِي الْبَحْثِ عَنْ عِيُوبِكَ وَهَارِبًا لِلَّهِ مِنْ ذُنُوبِكَ
فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ سِوَى مَوْلَاهُ وَهُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ مَا يَهْوَاهُ



المؤلف:

الأستاذ: محمد طيب إدريس.

من مواليد سنة ١٣٦٩ هجرية ١٩٥٠ ميلادية . بقبيلة بني ورياكل بالمغرب.

حفظ القرآن الكريم بمسجد قريته التي ينتمي إليها الشيخ أحمد زروق .
انتقل مع أسرته إلى فاس ؛ وبها درس ، وتخرج من القرويين سنة ١٩٦٨ .
بعدها حصل على :

دبلوم المدرسة العليا للأساتذة .

الإجازة في الآداب .

الإجازة في الحقوق .

انتمى إلى سلك التعليم بتوجيه ، وإصرار من أبيه ؛ وتدرج في المهام التالية:

* أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية بالدار البيضاء .

* أستاذ المواد الإسلامية بالمعهد الإسلامي بمكناس .

* مفتش التعليم الثانوي بمدينة مكناس .

* مفتش منسق جهوي بأكاديمية التعليم بمكناس .

* مفتش منسق مركزي لمادة التربية الإسلامية بوزارة التعليم بالرباط .

متقاعد حاليا ، ومتفرغ للبحث والتأليف .

له بحوث ودراسات كثيرة في مجال التربية والتعليم .

مؤلف لعدة كتب .

أسستها محمد باي دؤن سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

ص.ب. 9424 - بيروت - لبنان

رياض الطبخ - بيروت 2290 1107

هاتف 961 5 804810 / 11 / 12

فاكس 961 5 804815

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

www.al-ilmiyah.com

DKI



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah



ISBN 978-2-7451-7037-8

Designed & Printed By: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah